

تفسير سورة عم

وهي مكية

يَسْأَلُهُ أَنَّمَا الْكِتَابُ الْجَيْحَةُ

﴿عَمَ يَسَاءَ لَوْنَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُرِفُوا مُخْلَفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾.

﴿١ - ٥﴾ أي: عن أي شيء يتساءل المكذبون بآيات الله؟ ثم بين ما يتساءلون عنه فقال: «عن النبي العظيم الذي هم فيه مختلفون»؛ أي: عن الخبر العظيم الذي طال فيه نزاعهم وانتشر فيه خلافهم على وجه التكذيب والاستبعاد، وهو النبي الذي لا يقبل الشك ولا يدخله الريب، ولكن المكذبون بلقاء ربهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية، حتى يروا العذاب الأليم، ولهذا قال: «كلاً سيعلمون». ثم كلاً سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون حين «يدعون إلى نار جهنم دعا». ويقال لهم: «هذه النار التي كتم بها تكذبون».

ثم ذكر^(١) تعالى النعم والأدلة الدالة على ما جاءت^(٢) به الرسل فقال:

﴿أَتَرْ بَغْيَلَ الْأَرْضَ مِهَدًا ﴿٦﴾ وَالْجَبَالَ أَوْنَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَا أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا تَوْمَكُرْ سُبَانًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَبَلَّ لِيَسَا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا الْهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَيَّنَنَا فَوْقَكُمْ سَبَانًا شَدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا يَرَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْجَرَاتِ مَائَةَ شَجَابًا ﴿١٤﴾ يَتَّرَجَّحُ بِهِ حَبَّانًا وَبَنَانًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّتْ أَفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿٦ - ١٦﴾؛ أي: أما أنعمنا عليكم بنعم جليلة، فجعلنا لكم «الأرض مهادا»؛ أي: ممهدة مذلة^(٤) لكم ولمصالحكم من الحرث والمساكن والسبيل، «والجبال أو نادا»؛ تمسك الأرض لئلا تضطرب بكم وتميده، «وخلقناكم أزواجا»؛ أي: ذكوراً وإناثاً من جنس واحد؛ ليسكن كل منهما إلى الآخر، فت تكون^(٥) المؤدة والرحمة، وتنشأ عنهما الذريعة. وفي ضمن هذا الامتنان بلذة المنكح. «وجعلنا نومكم سباتاً»؛ أي: راحة لكم وقطعاً لأشغالكم التي متى تمادت بكم؛ أضررت

(١) في (ب): «بَيْنَ». (٢) في (ب): «أَخْبَرْتَ».

(٣) في (أ): إلى قوله: «أَفَافًا». وفي (ب): ذكر الآيات.

(٤) في (ب): «مَهِيَّة».

(٥) في (ب): «فَنَكُونَ».

بأنكم، فجعل الله الليل والنوم يعشى الناس لتسكن^(١) حركاتهم الضارة وتحصل راحتهم النافعة، «وبيننا فوقكم سبعاً شِدَاداً»؛ أي: سبع سماوات في غاية القوّة والصلابة والشدة، وقد أمسكها الله بقدرته، وجعلها سقفاً للأرض، فيها عدّة منافع لهم، ولهذا ذكر من منافعها الشمس، فقال: «وَجَعَلْنَا سَرَاجاً وَهَاجَاً»: نَبَّ بالسراج على النّعمّة بنورها الذي صار ضرورة للخلق، وبالوهاج - وهي حرارتها - على ما فيها من الإنضاج والمنافع^(٢)، «وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمَعْصِرَاتِ»؛ أي: السحاب «ماءً ثَجَاجَاً»؛ أي: كثيراً جداً؛ «لُتَخْرِجَ بِهِ حَبًّا»: من بر وشعير وذرة وأرز وغير ذلك مما يأكله الأدميون، «وَنَبَاتًا»: يشمل سائر النبات الذي جعله الله قوتاً لمواشيهم، «وَجَنَّاتِ الْفَافَا»؛ أي: بساتين ملتفة فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة؛ فالذي أنعم [عليكم] بهذه الثّعم الجليلة^(٣) التي لا يقدر قدرها ولا يحصى عددها؛ كيف تكفرون به وتكتّبون ما أخبركم به من البعث والثّشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه وتجحدونها؟!

﴿إِنَّ يَوْمَ التَّقْسِيلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿٤﴾ يُنْفَخُ فِي الْمُؤْمِنُونَ أَفْوَابًا ﴿٥﴾ وَفُتُحَتِ الْأَسْمَاءُ
فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٦﴾ وَسَرِيرَتِ الْبَيْلَالِ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٧﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِنْ صَادًا ﴿٨﴾ لِلطَّاغِينَ مَبَابًا
لَّيَسِنَ فِيهَا أَخْفَابًا ﴿٩﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرَدًا وَلَا شَرَابًا ﴿١٠﴾ إِلَّا حَيْمًا وَغَسَّافًا ﴿١١﴾ جَرَازَة
وَفَاقَا ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حَسَابًا ﴿١٣﴾ وَكَذَّبُوا بِمَا نَبَاتُنَا كَذَابًا ﴿١٤﴾ وَكُلُّ شَوْءٍ أَخْصَيْنَاهُ
كِتَابًا ﴿١٥﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿١٦﴾ .

﴿١٧﴾ ذكر الله تعالى ما يكون في يوم القيمة الذي يتسائل عنه المكذبون ويجدده المعاندون؛ آنَّه يوم عظيم، وأن الله جعله «مِيقَاتًا» للخلق، «يُنْفَخُ في الصُّور» فيأتون «أَفْوَاجًا»؛ ويجري فيه من الزعزع والقلقل ما يشيب له المولود^(٤) وتترعرع له القلوب، فتسير الجبال حتى تكون كالهباء المبثوث، وتنشق^(٥)

(١) في (ب): «فتقطع».

(٢) في (ب): «كالضرورة للخلق، وبالوهاج الذي فيه الحرارة على حرارتها وما فيها من المصالح».

(٣) في (ب): «العظيمة».

(٤) في (أ): إلى قوله: «فلن نزيدكم إلّا عذابًا». وفي (ب): ذكر الآيات.

(٥) في (ب): «الوليد». (٦) في (ب): «وتشقق».

السماء حتى تكون أبواباً، ويفصل الله بين الخلائق بحكمه الذي لا يجور، وتقدّم نار جهنّم التي أرصد لها الله وأعدّها للطاغين وجعلها مثوى لهم وما بآ، وأئمّهم يلبتون فيها أحقاباً كثيرةً، والحقب على ما قاله كثيرٌ من المفسّرين ثمانون سنة؛ فإذا وردوها^(١)؛ «لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً»؛ أي: لا ما يبردُ جلوذهم ولا ما يدفع ظمائمهم؛ «إلا حميماً»؛ أي: ماء حاراً يشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم «وغساقاً»؛ وهو صديد أهل النار: الذي هو في غاية التنكر والهدا.

﴿٢٦﴾ وإنما استحقوا هذه العقوبات الفظيعة جزاء لهم وفاما على ما عملوا من الأعمال الموصولة إليها، لم يظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم، ولهذا ذكر أعمالهم التي استحقوا بها هذا الجزاء، فقال: «إنهم كانوا لا يرجون حساباً»؛ أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا أن الله يجازي الخلق بالخير والشرّ؛ فلذلك أهملوا العمل للأخرة، «وكذبوا بما آتينا كذاباً»؛ أي: كذبوا بها تكذيباً واضحاً صريحاً، وجاءتهم البينات فعندوها، «وكل شيء»؛ من قليل وكثير وخير وشرّ، «احصيناكم كتاباً»؛ أي: أثبناه^(٢) في اللوح المحفوظ؛ فلا يحسب^(٣) المجرمون أنّا عذّبناهم بذنوب لم يعملوها، ولا يحسبوا أنّه يضيع من أعمالهم شيء أو ينسى منها مثقال ذرة؛ كما قال تعالى: «روض الكتاب فترى المجرمين مشفعين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لـهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً». «فندقوا»؛ أيها المكذبون لهذا العذاب الأليم والخزي الدائم، «فلنزيدكم إلا عذاباً»؛ وكل وقت وحين يزداد عذابهم. وهذه الآية أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار، أجارنا الله منها.

﴿إِنَّ لِّمَتَّقِينَ مَفَازاً ﴿٤﴾ حَلَاقَ وَاعْتَبَا ﴿٥﴾ وَوَاعِبَ أَزَابَا ﴿٦﴾ وَكَاسَا دَهَافَا ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوا وَلَا كَذَبَا ﴿٨﴾ جَزَاءَ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءَ حَسَاباً ﴿٩﴾ .

﴿٣٦﴾ لما ذكر حال المجرمين؛ ذكر مآل المتقين، فقال: «إِنَّ لِلّمَتَّقِينَ مَفَازاً»؛ أي: الذين^(٥) اتقوا سخط ربهم بالتّمسّك بطاعته والانكفاء عن

(١) في (ب): «وهم إذا وردوها».

(٢) في (ب): «كتبناه».

(٣) في (ب): «فلا يخشى».

(٤) في (أ): إلى قوله: «عطاء حساباً». وفي (ب) ذكر الآيات.

(٥) في (ب): «إن المتقين الذين ...».

معصيته^(١)؛ فلهم مغازٌ ومنجيٌ وبعد عن النار، وفي ذلك المغاز لهم «حدائق» وهي البساتين الجامعة لأصناف الأشجار الزاهية بالشمار التي تتفجر بين خلالها الأنهر، وخص العنب^(٢) لشرفه وكثثره في تلك الحدائق. ولهم فيها زوجات على مطالب النفوس «كواكب» وهي النواهد الالاتي لم تتكسر ثديهن من شبابهن وقوتهن ونضارتها^(٣). والأتراب الالاتي على سنٍ واحد متقارب، ومن عادة الأتراب أن يكن متألفات^(٤) متعاشرات، وذلك السن الذي هن فيه ثلاثة وثلاثون سنة أعدل ما يكون من الشباب^(٥)، «وكأساً لهاقاً»؛ أي: مملوقة من رحى لذة للشاربين، «لا يسمعون فيها لغوأ»؛ أي: كلاماً لا فائدة فيه، «ولا كذباً»؛ أي: إنما، كما قال تعالى: «لا يسمعون فيها لغوأ ولا تائيمأ. إلّا قبلاً سلاماً»، وإنما أعطاهم الله هذا الثواب الجليل من فضله وإحسانه^(٦). «عطاء حساباً»؛ أي: بسبب أعمالهم التي وفّهم الله لها، وجعلها سبباً للوصول إلى كرامته^(٧).

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَكُونُ مِنْهُ خَطَابًا﴾^(٨) (٣٧) ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٩) (٣٨) ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَيْهِ مَنِيبًا﴾^(١٠) (٣٩) ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاهُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرءُ مَا فَدَّمْتَ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْتَئِمُ كُثُرًا تُرْبَابًا﴾^(١١) (٤٠).

﴿٣٧﴾ أي: الذي أعطاهم هذه العطايا هو ربهم، «رب السموات والأرض»: الذي خلقها ودبّرها. «الرحمن»: الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم ورحمهم ولطف بهم حتى أدركوا ما أدركوا. ثم ذكر عظمته وملكه العظيم يوم القيمة، وأن جميع الخلق كلهم ساكتون ذلك اليوم^(٩) لا يتكلمون و«لا يملكون منه خطاباً»؛ «إلّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا»: فلا يتكلّم أحد إلّا

(١) في (ب): «عما يكرهه».

(٢) في (ب): «الأعتاب».

(٣) في (ب): «وهي الناهد التي لم ينكسر ثديها من شبابها ونضارتها وقوتها».

(٤) في (ب): «متألفات». (٥) في (ب): «في أعدل سن الشباب».

(٦) في (ب): «هذا الثواب الجليل من ربك لهم».

(٧) في (ب): «وجعلها ثمناً لجنته ونعمتها».

(٨) في (أ): إلى آخر السورة. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

(٩) في (ب): «ذلك اليوم ساكتون».

بِهِذِينَ الشَّرْطَيْنِ : أَن يأْذَنَ اللَّهُ لَهُ فِي الْكَلَامِ ، وَأَن يكُونَ مَا تَكَلَّمُ بِهِ صَوَابًا ؛ لَأَنَّ
﴿ذَلِكَ الْيَوْم﴾ [هُوَ] **﴿الْحَق﴾** : الَّذِي لَا يَرُوْجُ فِيهِ الْبَاطِلُ وَلَا يَنْفَعُ فِيهِ الْكَذِبُ . وَفِي
﴿ذَلِكَ الْيَوْم﴾ **﴿يَقُومُ الرُّوح﴾** : وَهُوَ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ^(١) الْمَلَائِكَةِ ،
﴿وَالْمَلَائِكَة﴾ : أَيْضًا يَقُومُ الْجَمِيعُ **﴿صَفَّا﴾** : خَاضِعِينَ لِلَّهِ ، لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِإِذْنِهِ^(٢) .
 فَلَمَّا رَغَبَ وَرَهَبَ وَبَشَّرَ وَأَنذَرَ ؛ قَالَ : **﴿فَمَنْ شاءَ اتَّخِذْ إِلَى رَبِّهِ مَبَابًا﴾** ؛ أَيْ : عَمَلاً
 وَقَدَمَ صَدِيقًا يَرْجِعُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

﴿٤٠﴾ **﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾** : لَأَنَّهُ قَدْ أَزْفَ مُقْبِلًا ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ [فَهُوَ]
 قَرِيبٌ . **﴿يَوْمٌ يَنْظُرُ الْمَرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾** ؛ أَيْ : هَذَا الَّذِي يَهْمُهُ وَيَفْزَعُ إِلَيْهِ ، فَلَيَنْظُرْ
 فِي هَذِهِ الدَّارِ مَا قَدَّمَ لِدَارِ الْقَرْارِ^(٣) ، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَنْظُرُ نَفْسَكُمْ مَا
 قَدَّمْتُ لَغِدِي وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . . .﴾** الْآيَاتُ ؛ فَإِنْ وَجَدْ خَيْرًا ،
 فَلِيَحْمِدِ اللَّهَ ، وَإِنْ وَجَدْ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ فَلَا يَلْوَمُنَّ إِلَّا نَفْسَهُ . وَلَهُذَا كَانَ الْكُفَّارُ يَتَمَّنُونَ
 الْمَوْتَ مِنْ شَدَّةِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ . نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعَافِنَا مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرِّ كُلُّهُ إِنَّهُ جَوَادٌ
 كَرِيمٌ .

تمت^(٤) .

* * *

تفسير سورة النازعات

وَهِيَ مَكِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْتَّرْعَتْ غَرْقًا ١﴾ **﴿وَالْتَّنْشَطَتْ نَشْطًا ٢﴾** **﴿وَاسْتَبَحَتْ سَبَقًا ٣﴾** **﴿فَالْسَّدِيقَتْ سَبَقًا ٤﴾**
 فَالْمَدِيرَتْ أَنْرًا ٥ **﴿يَوْمَ تَرْجَعُ الْأَرْجَنَةُ ٦﴾** **﴿تَبْعَهَا أَرْدَافَةُ ٧﴾** **﴿فُؤُوبُ يَوْمَيْزٌ وَاجْنَةُ ٨﴾** أَبْصَرُهَا
 خَشْعَةُ ٩ **﴿يَقُولُونَ أُونَا لَمَرْدُودُنَّ فِي الْخَافِرَةِ ١٠﴾** **﴿أَعْذَا كُنَّا عَظَنَمَا نَخْرَةُ ١١﴾** **﴿فَالْأُولُوا تِلْكَ إِذَا
 كَرَّةُ خَاسِرَةُ ١٢﴾** **﴿فَلَنَا هِيَ زَجَرَةُ وَجِيدَةُ ١٣﴾** **﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٤﴾** .

(١) في (ب): «أشرف». (٢) في (ب): «إلا بما أذن لهم الله به».

(٣) في (ب): «فلينظر في هذه الدنيا إليه كما قال تعالى».

(٤) طمس الذي في (أ). وفي (ب): «تم تفسير سورة عم. والحمد لله رب العالمين».

(٥) في (أ): إلى قوله: «فإذا هم بالساهرة». وفي (ب): ذكر الآيات.

﴿٥ - ٥﴾ هذه الإقسامات بالملائكة الكرام وأفعالهم الدالة على كمال انتقادهم لأمر الله وإسراعهم في تنفيذه^(١)؛ يُحتمل أنَّ المقسم عليه الجزاء والبعث؛ بدليل الإثبات بأحوال القيامة بعد ذلك، ويُحتمل أنَّ المقسم عليه والمقسم به متَّحدان، وأنَّه أقسم على الملائكة؛ لأنَّ الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأنَّ في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمَّن الجزاء الذي تتولاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده، فقال: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾؛ وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوَّة، وتغرق في نزعها حتى تخرج الرُّوح فتجازى بعملها. ﴿وَالنَّاשِطَاتِ نَشَطًا﴾؛ وهي الملائكة أيضاً تجذب الأرواح بقوَّة ونشاط، أو أنَّ النَّشَطَ^(٢) يكون لأرواح المؤمنين والتَّنْزِعُ لأرواح الكُفَّار. ﴿وَالسَّابِعَاتِ﴾؛ أي: المتردَّدات في الهواء صعوداً ونزولاً، ﴿سَبِحَا. فَالسَّابِقَاتِ﴾؛ لغيرها ﴿سِبَقًا﴾؛ فتبادرُ لأمر الله وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رسل الله؛ لثلاً تسترقه^(٣)، ﴿فَالْمَدْبُرَاتِ أَمْرًا﴾؛ [أي]: الملائكة الذين جعلهم الله يديرون^(٤) كثيراً من أمور العالم العلوية والسفلى من الأمطار والنَّبات [والأشجار] والرِّياح والبحار والأجنحة والحيوانات والجنة والنار وغير ذلك.

﴿٦ - ٩﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَة﴾؛ وهي قيام الساعة، ﴿تَتَبَعُهَا الرَّادِفَة﴾؛ أي: الرَّاجفة الأخرى التي تَرْزُفُها وتتأتي تلوها. ﴿قُلُوبُ يَوْمَئِذٍ وَاجْفَةٌ﴾؛ أي: متزعجة^(٥) من شدة ما ترى وتسمع، ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾؛ أي: ذليلةٌ حقيرةٌ قد ملك قلوبهم الخوف وأدخلتهم الفزع وغلب عليهم التأسف، واستولت عليهم الحسرة.

﴿١٠ - ١٤﴾ ﴿يَقُولُونَ﴾^(٦)؛ أي: الكفار في الدنيا على وجه التكذيب: ﴿إِذَا كُنَّا عَظَاماً نَخْرَة﴾؛ أي: باليه فناتاً، ﴿فَالَّذِي تَلَكَ إِذَا كَرَّةً خَاسِرَةً﴾؛ أي: استبعدوا أن يعثهم الله ويعيدهم بعدما كانوا عظاماً نخرةً جهلاً منهم بقدرة الله وتجربياً عليه! قال الله في بيان سهولة هذا الأمر عليه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؛ يُنفَخ^(٧) في الصور؛ فإذا الخلائق كلُّهم ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾؛ أي: على وجه الأرض قيام ينظرون، فيجمعهم الله، ويقضي بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم.

(١) في (ب): «تنفيذ أمره».

(٢) في (ب): «الزع».

(٣) في (ب): «حتى لا تسترق».

(٤) في (ب): «الذين وكلهم الله أن يديروا».

(٥) في (ب): «أي: موجفة متزعجة».

(٦) الآية (١٠) لم يفسرها المؤلف.

(٧) في (ب): «ويُنفَخ فيها في».

﴿هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (١) ﴿إِذْ نَادَهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمَقْدَسِ طَوِي﴾ (٢) ﴿أَذْهَبْ إِلَكَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٣) ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَيْكَ أَنْ تَرْزَكَ﴾ (٤) ﴿وَأَهْدِيْكَ إِلَيْكَ فَنَخْشَى﴾ (٥) ﴿فَأَرْبَهُ الْآيَةُ الْكَبْرَى﴾ (٦) ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ (٧) ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَ﴾ (٨) ﴿فَحَسَرَ فَنَادَى﴾ (٩) ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (١٠) ﴿فَأَخْذَهُ اللَّهُ نَكَالُ الْآخِرَةِ﴾ (١١) ﴿وَالْأُولَى﴾ (١٢) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (١٣) .

١٥ - (٢٥) يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: «هل أنتك حديث موسى»: وهذا الاستفهام عن أمر عظيم متحقق وقوعه؛ أي: هل أنتك حديثه. «إذ ناداه ربُّه بالواد المقدس طوى»: وهو المحل الذي كلمه الله فيه، وامتنَ عليه بالرسالة، وابتَعَه بالوحى، واجتباه^(١)، فقال له: «أذهب إلى فرعون إنَّه طغى»؛ أي: فانه عن طغيانه وشركه وعصيائه يقول لَيْنَ وخطابٌ لطيفٌ لعله يتذكر أو يخشى، «فَقُلْ لَهُ هَلْ لَكَ إِلَيْكَ أَنْ تَرْزَكَ»؛ أي: هل لك في خصلة حميَّة ومحمدة جميلة يتنافس فيها أولو الألباب؟ وهي أن ترْكِي نفسك وتتطهَّرَها من دنس الكفر والطغيان إلى الإيمان والعمل الصالح. «وَأَهْدِيْكَ إِلَيْكَ»؛ أي: أدلُّك عليه، وأبِينَ لك موقع رضاه من موقع سخطه، «فَنَخْشَى»: الله إذا علمت الصراط المستقيم. فامتنع فرعون مما دعاه إليه موسى، «فَأَرْبَهُ الْآيَةُ الْكَبْرَى»؛ أي: جنس الآية الكبرى؛ فلا ينافي تعدُّدها، «فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعَبَانَ مَبِينَ». وزَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءِ الْلَّئَاظِرِينَ». «فَكَذَّبَ»: بالحق، «وَعَصَى»: الأمر، «ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَ»؛ أي: يجتهد في مبارزة الحق ومحاربته. «فَحَسَرَ»: جنوده؛ أي: جمعهم، «فَنَادَى». فقال: «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى»: فأذعنوا له وأقْرُوا بباطله حين استخفَّهم. «فَأَخْذَهُ اللَّهُ نَكَالُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى»؛ أي: جعل الله^(٢) عقوبته دليلاً وزاجراً ومبيئاً لعقوبة الدنيا والآخرة.

٢٦ - (٢٦) «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَةً لِمَنْ يَخْشَى»: فإنَّ مَنْ يَخْشَى الله هو الذي ينتفع بالأيات وال عبر؛ فإذا رأى عقوبة فرعون؛ عرف أنَّ [كل] من تكبَّر وعصى وبارز الملك الأعلى؛ يعاقبه في الدنيا والآخرة، وأمَّا مَنْ ترَحَّلت خشية الله من قلبه؛ فلو جاءته كُلُّ آيَةٍ؛ لم يؤمن بها.

(١) في (أ): طمس، وفي (ب): ذكر الآيات إلى قوله: «لَعْبَةً لِمَنْ يَخْشَى».

(٢) في (ب): «واختصه بالوحى والاجتباء».

(٣) في (ب): «أي: صارت».

﴿أَتَتْ أَشْدُ خَلْقًا أَمْ أَشَدُّ بَنَهَا ﴾١﴿رَفِعَ سَمْكَهَا فَسَوَهَا ﴾٢﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُمْنَهَا ﴾٣
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَنَهَا ﴾٤﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَّ عَنْهَا ﴾٥﴿وَأَجْبَالَ أَرْسَنَهَا ﴾٦﴿مَنَّا لَكُو
وَلَا تَنْكِحُكُ ﴾٧﴾.

﴿٢٧﴾ يقول تعالى مبيناً دليلاً واضحاً لمنكري البعث ومستبعدي إعادة الله للأجساد: «النَّئَمُ»: أيها البشر، «أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ»: ذات الجرم العظيم والخلق القوي والارتفاع الباهر، «بَنَاهَا»: الله، «رَفِعَ سَمْكَهَا»؛ أي: جرمها وصورتها. «فَسَوَاهَا»: بإحكام وإتقان يحيي العقول وينهل الألباب، «وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا»؛ أي: أظلمه، فعمت الظلمة جميع أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرض، «وَأَخْرَجَ ضُمْنَهَا»؛ أي: أظهر فيه الثور العظيم حين أتى بالشمس، فانتشر^(٢) الناس في مصالح دينهم ودنياهم، «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ»؛ أي: بعد خلق السماء «دَحَنَهَا»؛ أي: أودع فيها منافعها، وفسر ذلك بقوله: «أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَّ عَنْهَا». والجبال أرساهَا»؛ أي: ثبَّتها بالأرض^(٣)، فدحى الأرض بعد خلق السماوات؛ كما هو نصُّ هذه الآيات الكريمة، وأمّا خلق نفس الأرض؛ فمتقدِّم على خلق السماء؛ كما قال تعالى: «قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالذِّي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يُومَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ...» إلى أن قال: «تَمَّ اسْتَوْى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دَخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اتْبِعَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمُوَاتٍ...»؛ فالذِّي خلق السماوات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام والأرض الغراء الكثيفة^(٤)، وما فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم لا بد أن يبعث الخلق المكلفين فيجازيهم بأعمالهم^(٥)؛ فمن أحسن؛ فله الحسنة، ومن أساء؛ فلا يلومَنَ إلَّا نفسه.

ولهذا ذكر بعد هذا قيام الساعة ثم الجزاء^(٦)، فقال:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الْأَطْمَاءُ الْكَبِيرَى ﴾٧﴿يَوْمَ يَنَذَّرُ إِلَيْنَاهُ مَا سَعَى ﴾٨﴿وَبَرِزَتِ الْجَحِيْمُ لِئَنْ يَرَى

(١) في (أ): إلى قوله: «مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا نَعِمْكُمْ». وفي (ب): ذكر الآيات.

(٢) في (ب): «فَامْتَدَّ». (٣) في (ب): «في الأرض».

(٤) في (ب): «الكثيفة الغراء». (٥) في (ب): «على أعمالهم».

(٦) في (ب): «ولهذا ذكر بعد هذا القيام فالجزاء».

(٧) في (أ): إلى قوله: «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى». وفي (ب): ذكر الآيات.

﴿فَلَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَاٰ ۚ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ وَلَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَىَ النَّفَسَ عَنِ الْمَوْىٰ ۚ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝﴾.

﴿٣٦ - ٣٧﴾ أي: إذا جاءت القيامةُ الكبُرى والشدةُ العظيمُ، التي يَهُونُ عندها كُلُّ شَدَّةٍ؛ فَيَتَبَرَّأُ يَذْهَلُ الْوَالَّدُ عَنْ وَلَدِهِ، وَالصَّاحِبُ عَنْ صَاحِبِهِ، وَكُلُّ مُحِبٌّ عَنْ حَبِيبِهِ، وَ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ﴾: فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَيَتَمَمُّ زِيادةً مُتَقَالَ ذَرَّةً فِي حَسَنَاتِهِ، وَيَغْمُمُهُ وَيَحْزُنُ لِزِيادةِ مُتَقَالِ ذَرَّةٍ فِي سَيِّئَاتِهِ، وَيَعْلَمُ إِذَا ذَاكَ أَنَّ مَادَةَ رِبْحِهِ وَخَسْرَانِهِ مَا سَعَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَنْقُطُ كُلُّ سَبِبٍ وَوَصْلَةٍ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا سَوْيَ الأَعْمَالِ، ﴿وَبُرَزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرِى﴾؛ أي: جُعِلَتْ فِي الْبَرَازِ ظَاهِرَةً لِكُلِّ أَحَدٍ؛ قَدْ هُبِيَّتْ^(١) لِأَهْلِهَا، وَاسْتَعْدَتْ لِأَخْذِهِمْ مُتَظَرِّةً لِأَمْرِ رَبِّهَا.

﴿٣٩ - ٤٠﴾ ﴿فَلَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾؛ أي: جَاءَ الْحَدَّ بَأْنَ تَجَرَّأَ عَلَىِ الْمَعَاصِي الْكَبَارِ وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَىِ مَا حَدَّهُ اللَّهُ، ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾؛ عَلَىِ الْآخِرَةِ، فَصَارَ سَعِيهُ لَهَا وَوقْتُهُ مُسْتَغْرِقًا فِي حَظْوَظَهَا وَشَهْوَاتِهَا، وَنَسِيَ الْآخِرَةَ وَالْعَمَلَ^(٢) لَهَا؛ ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾؛ لَهُ؛ أي: الْمَقْرَءُ وَالْمَسْكُنُ لِمَنْ هُنْهُ حَالَهُ.

﴿٤١ - ٤٢﴾ ﴿وَلَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾؛ أي: خَافَ الْقِيَامَ عَلَيْهِ وَمَجَازَاتِهِ بِالْعَدْلِ؛ فَأَثَرَ هَذَا الْخَوْفُ فِي قَلْبِهِ، فَنَهَىَ ﴿النَّفَسَ عَنِ﴾: هُواهَا الَّذِي يَصْدُهَا عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَصَارَ هُواهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَجَاهَدَ الْهُوَى وَالشَّهُوَةِ الصَّادِئَيْنِ عَنِ الْخَيْرِ؛ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ﴾: الْمُشْتَمَلَةُ عَلَىِ كُلِّ خَيْرٍ وَسُرُورٍ وَنَعِيمٍ، ﴿هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾؛ لِمَنْ هُنْهُ وَصَفُهُ.

﴿يَتَعَلَّمُونَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَنَهَا ۚ ۚ فَإِنَّمَا أَنَّ مِنْ ذَكَرَهَا إِلَّا رَبِّكَ مُنْهَنَهَا ۚ ۚ إِنَّمَا أَنَّ مُنْذِرًا مِنْ يَخْشَهَا ۚ ۚ كَمَّا تَهُمُ يَوْمَ يَرُونَهَا لَرْ يَبْشُرُوا إِلَّا عَيْشَةَ أَوْ صُنْهَرَهَا ۚ ۚ﴾.

﴿٤٤ - ٤٥﴾ أي: يَسْأَلُكَ الْمُتَعَنِّتُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾؛ مَتِي وَقَوْعُهَا؟ وَ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾؟! فَأَجَابُهُمُ اللَّهُ بِقُولِهِ: ﴿فَيَمْ أَنْتَ مِنْ ذَكْرَهَا﴾؛ أي: مَا الْفَائِدَةُ لَكَ وَلَهُمْ فِي ذِكْرِهَا وَمَعْرِفَةِ قَوْعِهَا؛ فَلَيْسَ تَحْتَ ذَلِكَ نِتْيَةً، وَلَهُمَا لَمَّا كَانَ عِلْمُ الْعِبَادِ لِلسَّاعَةِ لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ مَصْلَحةٌ دِينِيَّةٌ وَلَا دُنْيَوِيَّةٌ، بَلْ الْمَصْلَحةُ فِي

(١) فِي (بِ): «بَرَزَتْ».

(٢) فِي (بِ): «وَتَرَكَ الْعَمَلَ لَهَا».

(٣) فِي (أَ): طَمَسَ . وَفِي (بِ) إِلَى آخرِ السُّورَةِ.

إخفائه^(١) عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق واستثار بعلمه فقال: «إلى ربك منتهاها»؛ أي: إليه ينتهي علمها؛ كما قال في الآية الأخرى: «يسألونك عن الساعة أيان مُرزاها قل إنما علمها عند ربِّي لا يُجلِّيها لوقتها إلَّا هو».

٤٥ - ٤٦ «إنما أنت منذرٌ مَن يَخْشَاهَا»؛ أي: إنما نذارتك نفعها لمن يخشى مجيء الساعة ويختلف الوقوف بين يدي الله^(٢)؛ فهم الذين لا يُهُمُّهم إلَّا الاستعداد لها والعمل لأجلها، وأما مَن لَم يؤمن بها؛ فلا يُبالي به ولا بتعنته؛ لأنَّه تَعْنَتْ مبنيَّ على التكذيب والعناد^(٥)، وإذا وصل إلى هذه الحال؛ كان الإجابة عنه عبئاً، ينْزَهُ أحكام الحاكمين عنه^(٦).

تمت. والحمد لله رب العالمين.



تفسير سورة عبس

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ عَسَّ وَبَوَّلَ^(٧) أَن جَاءَهُ الْأَغْنَى^(٨) ٢ وَمَا يُدْرِكُ لَعْلَمَ يَرَى^(٩) أَوْ يَدْكُرُ فَنَنْفَعَةُ الْأَكْرَى^(١٠)
٦ أَمَّا مَنْ أَسْقَنَنَا^(١١) ٧ فَاتَّ لَمْ تَصَدِّى^(١٢) ٨ وَمَا عَلِيكَ أَلَا يَرَى^(١٣) ٩ وَمَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَ^(١٤) ١٠ وَهُوَ
٤ يَسْعِنَ^(١٥) ١١ فَاتَّ عَنْهُ اللَّهُنَّ^(١٦) ١٢ .

سبب^(٨) نزول هذه الآيات الكريمات أنه جاءَ رجلٌ من المؤمنين أعمى^(٩) يسأل النبي ﷺ ويتعلم منه، وجاءَهُ رجلٌ من الأغنياء، وكان ﷺ حريصاً على هدايةِ الخلق، فمال^(١٠) وأصغى إلى الغنيٍّ وصادَ عن الأعمى الفقير؛ رجاءً لهدايةِ ذلك الغنيٍّ وطمئناً في تزكيته، فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف فقال:

(١) في (ب): «إخفائه».

(٢) في (ب): «بين يديه».

(٣) في (ب): «سوى».

(٤) في (ب): «من لا».

(٥) في (ب): «على العناد والتكذيب». (٦) في (ب): «ينزه الحكيم عنه».

(٧) في (أ): إلى قوله: «فَاتَّ عَنْهُ تَلْهِيٌ».

وَفِي (ب) ذكر الآيات.

(٨) في (ب): «وسبب».

(٩) وهو عبد الله بن أم مكتوم؛ كما في «سنن الترمذى» (٣٣٣١) والحاكم (٥١٤/٢).

﴿١٠﴾ ﴿عبس﴾؛ أي: في وجهه، ﴿وتولى﴾: في بدنه لأجل مجيء الأعمى له. ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: ﴿وما يدريك لعله﴾؛ أي: الأعمى، ﴿يَرَكِ﴾؛ أي: يتظاهر عن الأخلاق الرذيلة ويتصف بالأخلاق الجميلة، ﴿أو يَذَكُرْ فَتَنْفَعُهُ الذَّكْرَ﴾؛ أي: يتذكر ما ينفعه فيتتفع^(١) بذلك الذكرى، وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل ووعظ الوغاظ وتذكرة المذكرين؛ فإقبالك على من جاء بنفسه مفترقاً لذلك مقبلاً^(٢) هو الألائق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغنى المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتني لعدم رغبته في الخير مع تركك من^(٣) أهؤ منه؛ فإنه لا ينبغي لك؛ فإنه ليس عليك أن لا يَرَكِ؛ فلو لم يَتَرَكْ؛ فلست بمحاسب على ما عمله من الشر، فدلل هذا على القاعدة المشهورة؛ أنه لا يَتَرَكْ أمر معلوم لأمر موهم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة، وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم المفتقر إليه الحريص عليه^(٤) أزيد من غيره.

﴿كَلَّا إِنَّهَا نَذِكْرَةٌ﴾^(٥) ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ﴾^(٦) في صُحْفٍ مَكْرُرٍ^(٧) ﴿تَرْفَعُهُ طَهْرَهُ﴾^(٨) يَأْتِي مَغْرُورًا^(٩) ﴿كَرْمَ بَرْزَرَ﴾^(١٠) ﴿فَتْلَ إِنْسَنٌ مَا أَكْرَرَ﴾^(١١) مِنْ أَيِّ شَوْخَلَتَهُ^(١٢) مِنْ ثُلْجَةٍ خَلَقَهُ فَدَرَرَ^(١٣) ثُمَّ
السَّيْلَ يَتَرَرُ^(١٤) ثُمَّ أَمَانَهُ فَاقْبَرَ^(١٥) ثُمَّ إِذَا سَأَلَ أَشْرَرَ^(١٦) كَلَّا لَمَّا يَقْبَلَ مَا أَرَرَ^(١٧) فَلَيَتَرِ إِنْسَنٌ
إِلَّا طَعَمَيْهِ^(١٨) أَنَا صَبَّنَا اللَّهَ صَبَّنَا^(١٩) ثُمَّ سَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَّا^(٢٠) فَأَبْلَغْنَا فِيهَا جَنَّا^(٢١) وَعَبَّا وَقَبَّا
وَزَيَّنَوْنَا وَخَلَّا^(٢٢) وَسَدَّا يَقْ غَلَّا^(٢٣) وَفَكَمَهُ وَأَيَّا^(٢٤) مَسَّا لَكَ وَلَأَتَعْمِكَ^(٢٥)﴾.

﴿١٦﴾ يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذِكْرَةٌ﴾؛ أي: حقاً إن هذه الموعظة تذكرة من الله يذكر بها عباده ويبين لهم في كتابه ما يحتاجون إليه ويبين الرشد من الغي؛ فإذا تبيّن ذلك؛ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ﴾؛ أي: عمل به؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَلَ الْحَقُّ مِنْ رِبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾. ثم ذكر محل هذه التذكرة وعظمها ورفع قدرها، فقال: ﴿في صحف مكرمة. مرفوعة﴾: القدر والرتبة، ﴿مُطَهَّرَة﴾: من الآفات وعن أن تناهها أيدي الشياطين أو يسترقوها، بل هي ﴿بِأَيْدِي سَفَرَة﴾: وهم الملائكة الذين هم سفراء بين الله وبين عباده، ﴿كَرَام﴾؛ أي: كثيري الخير والبركة، ﴿بَرَّة﴾: قلوبهم وأعمالهم. وذلك كله حفظ من الله لكتابه؛ أن

(١) في (ب): «فيعمل».

(٢) في (ب): «لذلك منك».

(٣) في (ب): «اما».

(٤) في (ب): «إليه».

(٥) في (أ): إلى قوله: «مَتَاعًا لَكُمْ وَلَأَنْعَامَكُمْ». وفي (ب): ذكر الآيات.

جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقواء الأنقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلاً، وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول.

﴿١٧ - ٢٣﴾ ولكن مع هذا أبي الإنسان إلّا كُفوراً، ولهذا قال تعالى: «قتيلَ الإنسان ما أكفره»: لنعمة الله، وما أشد معايشه للحق بعدهما تبئن، وهو؛ ما هو؟ هو من أضعف الأشياء، خلقه الله من ماء مهين، ثم قدر خلقه وسوأه بشراً سوياً، وأنقذ قواه الظاهرة والباطنة، «ثم السبيل يسّره»؛ أي: يسر له الأسباب الدينية والدنيوية، وهذا السبيل، وبينه، وامتحنه بالأمر والنهي، «ثم أماته فأقربه»؛ أي: أكرمه بالدفن، ولم يجعله كسائر الحيوانات التي تكون جثثها على وجه الأرض، «ثم إذا شاء أنشره»؛ أي: بعثه بعد موته للجزاء؛ فالله هو المنفرد بتدبیر الإنسان وتصريفه بهذه التصاريف، لم يشاركه فيه مشارك، وهو مع هذا لا يقوم بما أمره الله، ولم يقضِ ما فرضه عليه، بل لا يزال مقصراً تحت الطلب!

﴿٢٤ - ٣٢﴾ ثم أرشده الله^(١) إلى النظر والتفكر في طعامه، وكيف وصل إليه بعدهما تكررت عليه طبقات عديدة ويسّرها [الله] له؛ فقال: «فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صبّينا الماء صبّاً»؛ أي: أنزلنا المطر على الأرض بكثرة «ثم شققنا الأرض» للنبات «شققاً. فأنبتنا فيها»؛ أصنافاً مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة والأقواف الشهية، «حباً»؛ وهذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها، «وعنباً وقضباً»؛ وهو القت، «وزيتوناً ونخلاً»؛ وخصوص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها، «وحداائق غلباً»؛ أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة المختلفة^(٢)، «وفاكهة وأباً»؛ الفاكهة ما يتفكّه فيه الإنسان من تين وعنب وخوخ ورمان وغير ذلك. والأب ما تأكله البهائم والأنعام، ولهذا قال: «متاعاً لكم ولأتعامكم»؛ التي خلقها الله وسخرها لكم. فمن نظر في هذه النعم؛ أوجب له ذلك شكر ربه وبذل الجهد في الإنابة إليه والإقبال على طاعته والتصديق لأخباره.

﴿إِذَا جَاءَتِ الصَّائِمَةَ ﴿٢٢﴾ يَوْمَ يَرُثُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٢٣﴾ وَأَتِيهِ وَلَيْدٌ ﴿٢٤﴾ وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ ﴿٢٥﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يَتَبَاهِي ﴿٢٦﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُشْفِرَةٌ ﴿٢٧﴾ مَنَاجِكَةٌ مُشْتَبِرَةٌ ﴿٢٨﴾ وَجُوْجُوْهٌ يَوْمَئِذٍ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا غَرَّةٌ ﴿٣٠﴾ تَرْهِمُهَا قَزْرَةٌ ﴿٣١﴾ أُزْلِكَهُمُ الْكُفْرُ الْفَجْرُ ﴿٣٢﴾ .

(١) في (ب): «ثم أرشده تعالى». (٢) في (ب): «المختلفة الكثيرة».

(٣) في (أ): إلى آخر السورة. وفي (ب): ذكر الآيات.

﴿٣٣﴾ أي: إذا جاءت صيحة القيامة التي تُصْخَّ لهولها الأسماع وتتنزعج لها الأفئدة يومئذ؛ مما يرى الناس من الأهوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال؛ يفرّ المرء من أعز الناس إليه وأشفقهم عليه^(١)؛ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته؛ أي: زوجته وبينيه، وذلك لأنّه «لكلّ امرئٍ منهم يومئذ شأنٌ يُغْنِيه»؛ أي: قد أشغلته نفسه، واهتم لفكاكها، ولم يكن له التفاتٌ إلى غيرها. فحيثئذ ينقسمُ الخلقُ إلى فريقين: سعداء وأشقياء: فأما السعداء؛ فوجوههم «يومئذ مسفرة»؛ أي: قد ظهر فيها السرور والبهجةُ مما عرفوا من نجاتهم وفوزهم بالنعم، «ضاحكةٌ مستبشرةٌ. ووجوه»؛ الأشقياء «يومئذ عليها غبَّةٌ. ترهقها»؛ أي: تخشاها «فترقة»؛ فهي سوداء مظلمةً مدلهمةً، قد أیست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها. «أولئك»: الذين بهذا الوصف، «هم الكفّرةُ الفجرةُ»؛ أي: الذين كفروا بنعمة الله، وكذبوا بآياته، وتجرؤوا على محارمه^(٢). نسأل الله العفو والعافية؛ إنه جوادٌ كريمٌ.

والحمد لله رب العالمين

* * *

تفسير سورة التكوير

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا أَنْقَمَ شُوكَتْ ① وَإِذَا أَنْجُومَ أَنْكَدَرَتْ ②﴾^(٣) ﴿وَإِذَا أَلْبَأْلَ شِيرَتْ ③ وَإِذَا أَلْعَشَارْ عَطَلَتْ ④ وَإِذَا أَلْوُوشْ حُشَرَتْ ⑤﴾^(٥) ﴿وَإِذَا أَلْبَارْ سِيرَتْ ⑥ وَإِذَا أَنْفُوشْ رُزْجَتْ ⑦﴾^(٧) وَإِذَا أَلْمَوْدَهْ شِيلَتْ ⑧ يَأْيِ ذَئْ قُلَيَتْ ⑨﴾^(٩) ﴿وَإِذَا أَلْحَفْ شُرَتْ ⑩﴾^(١٠) ﴿وَإِذَا أَلْمَاءَ كُشَتْ ⑪﴾^(١١) وَإِذَا أَلْجَيْمْ شِيرَتْ ⑫﴾^(١٢) وَإِذَا أَلْغَنَهْ أَزْلَفَتْ ⑬﴾^(١٣) عِلْمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ⑭﴾^(١٤).

﴿١٤﴾ أي: إذا حصلت هذه الأمور الهائلة؛ تميّز الخلق، وعلم كل^(٤) ما قدمه لآخرته وما أحضره فيها من خيرٍ وشرّ، وذلك أنه إذا كان يوم القيامة؛ تُكَوَّز

(١) في (ب): «أشفقهم لديه».

(٢) في (ب): «وكذبوا بآيات الله وتجرؤوا على محارم الله».

(٣) في (أ): إلى قوله: «علمت نفس ما أحضرت»؛ وفي (ب) ذكر الآيات.

(٤) في (ب): «كُلُّ أحد».

الشمس؛ أي: تُجمَع وتُلْفُ ويُخْسَف القمر ويلقىان في النار، **﴿وَإِذَا الثُّجُومُ انكدرت﴾**؛ أي: تغيَّرت وتناثرت^(١) من أفلاتها، **﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيرَث﴾**؛ أي: صارت كثيراً مهلاً، ثم صارت كالعهن المنفوش، ثم تغيَّرت وصارت هباءً منبئاً وأزيلت^(٢) عن أماكنها، **﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطْلَث﴾**؛ أي: عَطَلَ الناس يومئذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها، ويراعونها في جميع الأوقات، فجاءهم ما يُذْهِلُهم عنها، فنَبَأَ بالعشار - وهي النون التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم - على ما هو في معناها من كل نفيس.

﴿وَإِذَا الْوَحْشُ حُشَرَت﴾؛ أي: جُمعَت ليوم القيامة؛ ليقتضَى الله من بعضها البعض، ويري العباد كمالَ عدليه، حتى إنَّه يقتضي للشاة الجماء من الشاة القراء ثم يقال لها^(٣): كوني تراباً^(٤)، **﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجَرَت﴾**؛ أي: أُوقدت فصارات على عظمها ناراً تتوقد، **﴿وَإِذَا الْقُوَسُ رُوَجَت﴾**؛ أي: قُرِنَ كُلُّ صاحب عمل مع نظيره، فجُمعَ الأبرار مع الأبرار والفحار مع الفحار، وزوج المؤمنون بالحرور العين والكافرون بالشياطين، وهذا كقوله تعالى: **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ زُمَرًا﴾**، **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رِبِّهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾**، **﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجُهُمْ﴾**.

﴿وَإِذَا الْمَوْدُدَةُ سُيَلَت﴾: وهي التي كانت الجاهليَّة الجهلاء تفعله من دفن البنات وهنَّ أحياء من غير سبب إلَّا خشية الفقر، فتسأَل: **﴿بِيَأْيِي ذَنْبٌ قُتِلَت﴾**، ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ولكنَّ هذا فيه^(٥) توبیخ وتقریب لقاتلاتها، **﴿وَإِذَا الصُّحْفُ﴾**: المشتملة على ما عمله العاملون من خيرٍ وشرٍّ، **﴿تُشَرَّث﴾**: وفرقت على أهلها؛ فأخذَ كتابه بيمينه وأخذَ كتابه بشماله أو من وراء ظهره.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَت﴾؛ أي: أزيلت؛ كما قال تعالى: **﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾**، **﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلَ لِلْكُتُبِ﴾**، **﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قُبَضَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾**، **﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعَرَت﴾**؛ أي: أُوقد عليها فاستعرَّت والتَّهَبَت التَّهاباً لم يكن لها قبل ذلك، **﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلَفَت﴾**؛ أي: قربَت

(١) في (ب): «تساقطت». (٢) في (ب): «وسيرت».

(٣) في (ب): «حتى إنَّه يقتضي من القراء للجماء ثم يقول لها».

(٤) آخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/١٨٠)، وقد أورده الشيخ ناصر الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٦٦).

(٥) في (ب): «ففي هذا».

للمتقين، «علمت نفس»؛ أي: كلُّ نفس لإثباتها في سياق الشرط، «ما أحضرت»؛ أي: ما حضر لديها من الأعمال التي قدمتها؛ كما قال تعالى: «وَوْجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا».

وهذه الأوصاف التي وصفَ [الله] بها يوم القيمة من الأوصاف التي تنزعج لها القلوب، وتشتدُّ من أجلها الكروب، وترتعد الفرائض، وتعمُّ المخاوف، وتحثُ أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجُّهم عن كلِّ ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر ل يوم القيمة كأنه رأي عين؛ فليتبدئ سورة «إذا الشمس كُورث».

﴿فَلَا أُقِيمُ يَلْهَىٰ ١٥ ۚ الْمُجَوَّرُ الْكَثِيرُ ١٦ ۚ وَأَيْلَلٌ إِذَا عَسَسَ ١٧ ۚ وَالصَّبْحُ إِذَا نَفَسَ ١٨ ۚ إِنَّمَا لَقَوْلَ رَسُولِيْ كَبِيرٌ ١٩ ۚ ذِي فُوقٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ ٢٠ ۚ شَطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ ٢١ ۚ وَمَا صَاحِبُكُمْ ٢٢ ۚ يَسْجُونُ ٢٣ ۚ وَلَقَدْ رَاهَ ٢٤ بِالْأَقْفَى الْمُبِينِ ٢٥ ۚ وَمَا هُوَ عَلَى النَّبِيِّ يَضَنِّنِ ٢٦ ۚ وَمَا هُوَ بِمَا يَقُولُ شَيْطَنٌ تَبَهِّرُ ٢٧ ۚ فَإِنَّمَا تَدَهُونَ ٢٨ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ٢٩ ۚ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْقِيمَ ٣٠ ۚ وَمَا تَشَاءُونَ ٣١ ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٣٢ ۚ﴾.

﴿١٥ - ١٦﴾ أقسم تعالى «بالخَيْسِ»؛ وهي الكواكب التي تخنس؛ أي: تتأخر عن سير الكواكب المعتاد^(١) إلى جهة المشرق، وهي النجوم السبعة السيارة؛ الشمس والقمر والزهرة والمشتري والمريخ وزحل وعطارد؛ فهذه السبعة لها سيران: سير إلى جهة المغرب مع سائر الكواكب والفلك^(٢). وسير معاكس لهذا من جهة المشرق تختصُّ به هذه السبعة دون غيرها، فأقسم الله بها في حال خنوتها؛ أي: تأخرها، وفي حال جريانها، وفي حال كُتوسها؛ أي: استثارها بالنهار. ويُحتمل أنَّ المراد بها جميع الكواكب السيارة وغيرها.

﴿١٧ - ١٨﴾ «وَاللَّيلُ إِذَا عَسَسَ»؛ أي: أقبل، وقيل أدب^(٤)، والنهر «إذا تَفَسَّ»؛ أي: بدت^(٥) علائم الصبح، وانشقَ النور شيئاً فشيئاً حتى يستكمل وتطلع الشمس.

(١) في (أ): إلى آخر السورة. وفي (ب) ذكر الآيات.

(٢) في (ب): «المعتادة».

(٣) في (ب): «مع باقي الكواكب والأفلاك».

(٤) في (ب): «أي: أدب، وقيل أقبل». (٥) في (ب): «بانت».

﴿١٩﴾ وهذه آيات عظام أقسم الله عليها لقوّة سند القرآن^(١) وجلالته وحفظه من كلّ شيطانٍ رجيم، فقال: ﴿إِنَّهُ لَقُولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: وهو جبريل عليه السلام، نزل به من الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. على قلبك لتكون من المُنذِّرِينَ». ووصفه الله بالكريم لكرم أخلاقِه و[كثرة] خصالِه الحميدة؛ فإنه أفضَلُ الملائكة وأعظمهم رتبة عند ربِّه.

﴿٢٠﴾ ﴿ذِي قَوَّةٍ﴾: على ما أمره الله به، ومن قوّته أَنَّه قَلْبُ دِيَارِ قَوْمٍ لَوْطٍ بِهِمْ فَأَهْلُكُوهُمْ، ﴿عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ﴾؛ أي: جبريل مقرَّبٌ عند الله، له منزلةٌ رفيعةٌ وخصيصةٌ من الله اختصَّ بها، ﴿مَكِينٌ﴾؛ أي: له مكانةٌ ومنزلةٌ فوق منازلِ الملائكة كُلُّهُمْ.

﴿٢١﴾ ﴿مَطَاعُ ثُمَّ﴾؛ أي: جبريل مطاعٌ في الملاً الأعلى؛ لأنَّه^(٢) من الملائكة المقربين، نافذٌ فيهم أمرُه، مطاعٌ رأيه، ﴿أَمِينٌ﴾؛ أي: ذو أمانةٍ وقيامٍ بما أُمِرَ به، لا يزيد ولا ينقص ولا يتعدَّى ما حُدُّدَ له، وهذا كله يدلُّ على شرف القرآن عند الله تعالى: فإنَّه بعث به هذا الملكَ الكريمَ الموصوف بتلك الصفاتِ الكاملة، والعادةُ أنَّ الملوك لا ترسلُ الكريمةَ عليها إلَّا في أهمِّ المهام وأشرفِ الرسائلِ.

﴿٢٢﴾ ولما ذكر فضلُ الرسولِ الملكيِّ الذي جاء بالقرآن؛ ذكر فضلُ الرسول البشريِّ الذي نزل عليه القرآن، ودعا إليه الناس، فقال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾: وهو محمدٌ ﷺ ﴿بِمَجْنَونٍ﴾؛ كما يقوله أعداؤه المكذبون برسالته، المتقولون عليه [من] الأقوال التي ي يريدون أن يطفئوا بها ما جاء به^(٣)، بل هو أكملُ الناس عقلاً، وأجزلُهم رأياً، وأصدقُهم لهجةً.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾؛ أي: رأى محمدٌ ﷺ جبريل عليه السلام^(٤) بالأفقِ البَيْنِ الذي هو أعلى ما يلوح للبصر.

﴿٢٤﴾ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بَضَّنِينِ﴾؛ أي: وما هو على ما أوحاه الله إليه

(١) في (ب): «أقسم الله بها على علو سند القرآن».

(٢) في (ب): «لديه من الملائكة المقربين جنود».

(٣) في (ب): «أن يطفئوا بها ما جاء، ما شاؤوا وقدروا عليه».

(٤) تقدم تخریجه. وهو في «صحیح مسلم» (١٧٧). وانظر «تفسیر سورۃ التجم».

يُمْتَهِمْ يزيد فيه أو ينقصه، بل هو أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلغ رسالات ربّه البلاغ المبين، فلم يُشَحْ بشيء منه عن غنيٍ ولا فقيرٍ ولا رئيسٍ ولا مرؤوسٍ ولا ذكرٍ ولا أنثى ولا حضريٍ ولا بدويٍ، ولذلك بعثه الله في أمّةٍ أميّةً جاهلةً جهلاً، فلم يتمتّ بِكَلَّةٍ حتى كانوا علماءٍ رِبَانِيُّينَ وأَحْبَارًا مُتَفَرِّسِينَ، إِلَيْهِمُ الْغَايَةُ فِي الْعِلُومِ، وَإِلَيْهِمُ الْمُتَنَاهِي فِي اسْتِخْرَاجِ الدِّقَائِقِ وَالْمَفْهُومِ^(١)، وَهُمُ الْأَسْاتِذَةُ، وَغَيْرُهُمْ قُصَارُهُمْ أَنْ يَكُونُ مِنْ تَلَامِيذِهِمْ.

﴿٢٥﴾ «وَمَا هُوَ بِقُولٍ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ»: لِمَا ذَكَرَ جَلَالَةَ كِتَابِهِ وَفَضْلِهِ^(٢) بِذِكْرِ الرَّسُولِينَ الْكَرِيمِينَ الَّذِينَ وَصَلَّى إِلَى النَّاسِ عَلَى أَيْدِيهِمَا، وَأَنْتَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا بِمَا أَنْتَ؛ دَفَعَ عَنْهُ كُلَّ آفَةٍ وَنَقْصٍ مَا يَقْدُمُ فِي صِدْقِهِ، فَقَالَ: «وَمَا هُوَ بِقُولٍ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ»؛ أَيْ: فِي غَايَةِ الْبَعْدِ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ قَرْبِهِ.

﴿٢٦﴾ «فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ»؛ أَيْ: كَيْفَ يَخْتَرُ هَذَا بِيَالِكُمْ؟! وَأَيْنَ عَزَّيْتُ عَنْكُمْ أَذْهَانَكُمْ حَتَّى جَعَلْتُمُ الْحَقَّ الَّذِي هُوَ فِي أَعْلَى درَجَاتِ الصَّدْقِ بِمَنْزِلَةِ الْكَذْبِ الَّذِي هُوَ أَنْزَلَ مَا يَكُونُ وَأَرْذَلَ وَأَسْفَلَ الْبَاطِلِ؟! هَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ انْقلَابِ الْحَقَّاتِ؟!

﴿٢٧﴾ «إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ لِلْعَالَمِينَ»: يَتَذَكَّرُونَ بِهِ رِبَّهُمْ وَمَا لَهُ مِنْ صَفَاتِ الْكَمالِ وَمَا يَنْزَهُ عَنْهُ مِنْ النَّقَائِصِ وَالرِّذَايْلِ وَالْأَمْثَالِ، وَيَتَذَكَّرُونَ بِهِ الْأَوْامِرُ وَالنَّوَاهِي وَحُكْمَهَا؛ وَيَتَذَكَّرُونَ بِهِ الْأَحْكَامُ الْقَدْرِيَّةُ وَالشَّرِعِيَّةُ وَالْجَزِئِيَّةُ، وَبِالْجَمْلَةِ يَتَذَكَّرُونَ بِهِ مَصَالِحُ الدَّارِينَ، وَيَنْلَوْنَ بِالْعَمَلِ بِهِ السَّعَادِيْنَ.

﴿٢٨﴾ «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ»: بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ الرُّشُدُ مِنَ الْغَيِّ وَالْهَدَى مِنَ الْضَّلَالِ.

﴿٢٩﴾ «وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»؛ أَيْ: فَمَشِيَّتُهُ نَافِذَةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَعَارِضَ أَوْ تَمَانِعَ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَأَمْثَالِهَا رُدٌّ عَلَى فَرْقَتِي الْقَدْرِيَّةِ الْثَّفَاهَةِ وَالْقَدْرِيَّةِ الْمُجْبَرَةِ؛ كَمَا تَقْدُمُ مَثَالُهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.



(٢) في (ب): «لِمَا ذَكَرَ جَلَالَتَهُ وَفَضْلَهُ».

(١) في (ب): «وَالْمَفْهُومُ».

تفسير سورة الانفطار

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا أَلْسَأَهُ أَنْفَطَرَتْ ﴾١﴿ وَإِذَا الْكَوَافِكُ أَنْتَرَتْ ﴾٢﴿ وَإِذَا الْبَحَارُ فُعِرَتْ ﴾٣﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْرَتْ ﴾٤﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخْرَتْ ﴾٥﴾.

﴿٦﴾ أي: إذا انشقت السماء، وانفطرت، وتناثرت^(١) نجومها، وزال جمالها، وفجّرت البحار، فصارت بحراً واحداً، وبغيرت القبور بأن أخرج ما فيها من الأموات وحشروا للموقف بين يدي الله للجزاء على الأعمال؛ فحيثئذ ينكشف الغطاء، ويزول ما كان خفيّاً، وتعلم كل نفس ما معها من الأرباح والخسران. هنالك بعض الظالم على يديه إذا رأى ما قدّمت يداه^(٢) وأيقن بالشقاء الأبدي والعذاب السرمدي، وهنالك يفوز المتقون المقدّمون لصالح الأعمال بالفوز العظيم والنعيم المقيم والسلامة من عذاب الجحيم.

**﴿يَأَيُّهَا إِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرِبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾٦﴾ ﴿أَلَّيْهِ خَلَقَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ ﴾٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةِ
مَا شَاءَ رَبَّكَ ﴾٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَدِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴾٩﴾ وَلَئِنْ عَلِمْتُمُ لَخَفْظَيْنَ ﴾١٠﴾ كِرَاماً كَيْنَانِ
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾١١﴾.**

﴿١٢﴾ يقول تعالى معاذلاً للإنسان المقصر في حقه المتجرى على معاصيه^(٤): «بِاِيَّهَا اِلْهَانُ ما غَرَّكَ بِرِبِّكَ الْكَرِيمِ»: أتهاوناً منك في حقوقه؟ أم احتقاراً منك لعذابه؟! أم عدم إيمان منك بجزائه؟! أليس هو «الذي خلقك فسواك»^(٥): في أحسن تقويم، «فَعَدَّلَكَ»: ورثتك تركيباً قوياً معتدلاً في أحسن الأشكال وأجمل الهيئة؟! فهل يليق بك أن تكفر نعمة^(٥) المنعم أو تتجحد إحسان

(١) في (ب): «انثرت».

(٢) في (ب): «إذا رأى أعماله باطلة، وميزانه قد خفت، والمظالم قد تداعت إليه، والسيئات قد حضرت لديه».

(٣) في (أ): إلى قوله: «تفعلون». وفي (ب) ذكر الآيات.

(٤) في (ب): «المقصر في حق الله المتجرى على مساخطه».

(٥) في (ب): «بنعمة».

المحسن؟ إن هذا إلّا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك؛ فاحمد الله إذ لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار أو نحوهما من الحيوانات، ولهذا قال تعالى: «في أيّ صورة ما شاء رَبُّكَ».

٩ - ١٢) قوله: «كَلَّا بْلَ تَكْذِبُونَ بِالدِّينِ»؛ أي: مع هذا الوعظ والتذكرة لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء، وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة كرامة، يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمونها^(١)، فدخل في هذا أفعال القلوب وأفعال الجوارح؛ فاللاتق بكم أن تكرِّموهم وثِجُّلوهم.

«إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحَّمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الْتِينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَافِيَنَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْلِّيْلِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْدِّيْنِ ﴿١٨﴾ يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسُكُ لِتَفْسِيْسَ شَيْئًا ﴿١٩﴾ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾».

١٣ - ١٩) المراد بالأبرار هم: القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون للبر في أعمال القلوب وأعمال الجوارح؛ فهو لاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن في دار الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار القرار، «وإن الفجّار»: الذين قصرّوا في حقوق الله وحقوق عباده، الذين فجرّت قلوبهم ففجرّت أعمالهم، «لفي جهنم»؛ أي: عذاب أليم في دار الدنيا ودار البرزخ وفي دار القرار، «يصلونها»: ويعذبون بها أشد العذاب «يوم الدين»؛ أي: يوم الجزاء على الأعمال، «وما هم عنها بغافيين»؛ أي: بل هم ملازمون لها لا يخرّجون منها، «وما أدرك ما يوم الدين». ثم ما أدرك ما يوم الدين؟ في^(٢) هذا تهويل لذلك اليوم الشديد، الذي يحيّر الأذهان، «يوم لا تملِكُ نفْسٌ لِنَفْسِ شَيْئًا»: ولو كانت قريبة أو حبيبة مصادفة^(٣)؛ فكل مشتغل بنفسه لا يطلب الفكاك لغيرها. «والْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ»: فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم حقه من ظالمه. والله أعلم.



(١) في (ب): «ويعلمون أفعالكم».

(٢) في (أ): إلى آخر السورة. وفي (ب) ذكر الآيات.

(٣) في (ب): «فهي».

تفسير سورة المطففين

وهي مدنية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلظَّفَّارِينَ ﴾ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ

﴿أَلَا يَطْئِنُ أُولَئِكَ أَهْمَمُهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

﴿٦ - ٦﴾ **«ويل»**: كلمة عذاب وعقاب^(٢)، **«للطففين»**: وفسر الله المطففين بأنهم^(٣) **«الذين إذا اكتالوا على الناس»**; أي: أخذوا منهم وفاء لهم عمّا قبلهم^(٤)، يستوفونه كاملاً من غير نقص، **«وإذا كالوهם أو وزنوهם»**; أي: إذا أعطوا الناس حقهم الذي لهم^(٥) عليهم بكيل أو وزن، **«يُخسرون»**; أي: ينقصونهم ذلك إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو بغير ذلك؛ فهذا سرقة لأموال الناس^(٦) وعدم إنصاف لهم منهم. وإذا كان هذا وعيداً^(٧) على الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان؛ فالذي يأخذ أموالهم قهراً وسرقة أولى بهذا الوعيد من المطففين.

ودللت الآية الكريمة على أنَّ الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له يجب [عليه] أن يعطيهم كلَّ ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخلُ في عموم هذا الحجج والمقالات؛ فإنَّه كما أنَّ المتناظرين قد جرت العادة أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يحرص على ماله من الحجج؛ فيجب عليه أيضاً أن يبيَّن ما لخصمه من الحجَّة^(٨) التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصميه كما ينظر في أدله هو، وفي هذا الموضع يُعرَفُ إنصاف الإنسان من تعصُّبه واعتسافه وتواضعه من كبره وعقله من سُفْهِه، نسأل الله التوفيق لكلَّ خير.

(١) في (ب): «وهي مكية».

(٢) في (ب): «بقوله».

(٣) في (ب): «أخذوا منهم وفاء عمّا ثبت لهم قبلهم».

(٤) في (ب): «للناس».

(٥) في (ب): «أو نحو ذلك، فهذا سرقة للناس».

(٦) في (ب): «الوعيد».

(٧) في (ب): «من الحجج».

ثم توعد تعالى المطهفين، وتعجب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فقال: «أَلَا يظْنُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» : فالذى جرأهم على التطهيف عدم إيمانهم ^(١) باليوم الآخر؛ وإنما؛ فلو آمنوا به وعرفوا أنهم سيقومون بين يدي الله فيحاسبهم ^(٢) على القليل والكثير؛ لأنقلعوا عن ذلك وتابوا منه.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجْنَيْنِ﴾ ^(٣) ٨ وَمَا أَذْرَكَ مَا سِجْنَيْنِ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ^(٤) ٩ وَلِلْيَوْمِ
لِلْمُكَذِّبِينَ ^(٥) ١٠ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ^(٦) ١١ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِلٌ أَشَيْءُ ^(٧) ١٢ إِذَا تُنَزَّلَ عَلَيْهِ
مَا يَتَنَزَّلُ قَالَ أَسْطِرُ الْأَوَّلَيْنَ ^(٨) ١٣ كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ^(٩) ١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَيْهِمْ يَوْمَ
لَخْجُوْنَ ^(١٠) ١٥ ثُمَّ لَأَتَهُمْ لَصَائِلُ الْجَحِّمِ ^(١١) ١٦ ثُمَّ يُبَالِ هَذَا الَّذِي كُنْتُ بِهِ تَكَذِّبُونَ ^(١٢) ١٧﴾ .

٧ - ٩ يقول تعالى: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ» : وهذا شامل لكل فاجر من أنواع الكفارة والمنافقين والفاشين، «لِفِي سِجْنَيْنِ». ثم فسر ذلك بقوله: «وَمَا أَذْرَكَ مَا سِجْنَيْنِ». كتاب مرقوم ^(١)؛ أي: كتاب مذكور فيه أعمالهم الخبيثة. والسجينون: المحل الضيق الضنك، وسجين ضد عליين، الذي هو محل كتاب الأبرار كما سيأتي. وقد قيل: إن سجين هو أسفل الأرض السابعة مأوى الفجّار ومستقر لهم في معادهم.

١٠ - ١٣ «وَلِلْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ» . ثم بينهم ^(٢) بقوله: «الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ» : أي: يوم الجزاء، يوم يدين الله الناس فيه ^(٤) بأعمالهم. «وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِلٌ» : على محارم الله متعد من الحلال إلىحرام. «أَشَيْءُ» : أي: كثير الإثم؛ فهذا يحمله عدوانه على التكذيب، ويوجب له كبره رد الحق ^(٥)، ولهذا «إِذَا تُنَزَّلَ عَلَيْهِ» آيات الله الدالة على الحق وعلى صدق ما جاءت به الرسل؛ كذبها وعاندها وقال: هذه «أَسْطِرُ الْأَوَّلَيْنَ» : أي: من ترهات المتقدّمين وأخبار الأمم الغابرين، ليس من عند الله؛ تكبراً وعنداداً.

١٤ - ١٧ «وَمَآ مِنْ أَنْصَافٍ وَكَانَ مَقْصُودُهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكْذِبُ بِيَوْمِ

(١) في (ب): «يقومون بين يدي الله يحاسبهم».

(٢) في (أ): إلى قوله: «ثُمَّ يُبَالِ هَذَا الَّذِي كُنْتُ بِهِ تَكَذِّبُونَ». وفي (ب): ذكر الآيات.

(٣) في (ب): «ثُمَّ بَيْنَ الْمُكَذِّبِينَ».

(٤) في (ب): «فِيهِ النَّاسُ».

(٥) في (ب): «وَيَحْمِلُهُ كَبَرَهُ عَلَى رَدِّ الْحَقِّ».

الدين؛ لأنَّ اللَّهَ^(١) قد أقام عليه من الأدلة القاطعة والبراهين [الساطعة] ما يجعله حقَّ اليقين^(٢)، وصار لبصائرهم بمنزلة^(٣) الشمس للأبصار؛ بخلاف من ران على قلبه كسبه وغطَّته معاشريه؛ فإنَّ محجوبَ عن الحقِّ، ولهذا جوزي على ذلك بأنَّ حُجَّبَ عن الله كما حُجَّبَ قلْبُه [في الدنيا] عن آيات الله. «ثُمَّ إِنَّهُمْ»: مع هذه العقوبة البليغة، «لَصَالُوا الْجَحِيمَ». ثُمَّ يقال^(٤): لهم توبيحاً وتقريراً: «هُذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ»: فذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب: عذاب الجحيم، وعذاب التوبیخ واللوم، وعذاب الحجاب عن^(٤) رب العالمين، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم عليهم من عذاب النار.

ودلل مفهوم الآية على أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيمة، وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات ويت亨جون بخطابه ويفرحوه بقربه؛ كما ذكر الله ذلك في عدَّة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله.

وفي هذه الآيات التحذير من الذُّنوب؛ فإنَّها ترين على القلب وتغطيه شيئاً فشيئاً، حتى ينطمس نورُه وتموت بصيرَتُه، فتنقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حَقّاً والحق باطلًا. وهذا من أعظم^(٥) عقوبات الذُّنوب.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلْمَيْنِ ﴿٢١﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلَيْهِنَّ ﴿٢٢﴾ كِتَابٌ مَّرْفُوعٌ يَشَهِّدُ الْمُغْرِبُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنِي نَسِيرٌ ﴿٢٤﴾ عَلَى الْأَرْضِ لَيَنْظُرُونَ ﴿٢٥﴾ تَرَوُنَ فِي وُجُوهِهِمْ نَصَرَةَ الْتَّيْمِيرِ يَسْقُونَ مِنْ رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٦﴾ خَتَمْتُمُ مِسْكٍ وَفِي ذَلِكَ فَلَيَنَافِسَ الْمُنَافِسُونَ ﴿٢٧﴾ وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٨﴾ [عَيْنَا يَسْرُبُ بِهَا الْمُغْرِبُونَ] ﴿٢٩﴾﴾.

﴿١٨ - ٢١﴾ لما ذكر أنَّ كتاب الفجَّار في أسفل الأمكنة وأضيقها؛ ذكر أنَّ كتاب الأبرار في أعلىها وأوسعها وأفسحها، وأنَّ كتابهم المرقوم «يشهدُ المقربون»: من الملائكة الكرام وأرواح الأنبياء والصدِّيقين والشهداء^(٦)، وينوه الله بذكرهم في الملايين. وعليُّون: اسم لأعلى الجنة.

(١) في (ب): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى».

(٢) في (ب): «وَصَارَ لِبَصَارِهِمْ مِثْلُ».

(٣) في (ب): «من».

(٤) في (ب): «من بَعْضٍ».

(٥) في (أ): إلى قوله: «وَمَزَاجَهُ مِنْ تَسْنِيمٍ». وفي (ب) ذكر الآيات.

(٦) زِيادة على السختين.

(٧) في (ب): «وَالشَّهَادَةِ وَالصَّدِيقَيْنِ».

﴿٢٨﴾ فلما ذَكَرَ كِتَابَهُمْ؛ ذَكَرَ أَنَّهُمْ فِي نَعِيمٍ، وَهُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لِنَعِيمِ الْقُلُوبِ وَالرُّوحِ وَالْبَدْنِ. ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾؛ أَيْ: عَلَى السُّرُورِ الْمَزَيَّنِ بِالْفَرْشِ الْحَسَانِ، ﴿يَنْظُرُونَ﴾؛ إِلَى مَا أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِمُ الْكَرِيمِ، ﴿تَعْرُفُ﴾؛ أَيْهَا النَّاظِرِ^(١)، ﴿فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ﴾؛ أَيْ: بِهَاءُ^(٢) وَنَضْرَةُهُ وَرُونِقُهُ؛ فَإِنَّ تَوَالِيَ الْلَّذَّاتِ وَالْمَسَرَّاتِ وَالْأَفْرَاحِ^(٣) يَكْسِبُ الْوَجْهَ نُورًا وَحَسْنًا وَبِهَجَةً، ﴿يَنْسَقُونَ مِنْ رَحِيقٍ﴾؛ وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَشْرِبَةِ وَالْأَذْهَاءِ، ﴿مَخْتُومٌ﴾ ذَلِكَ الشَّرَابُ ﴿خَتَامُهُ مَسْكٌ﴾؛ يُحَتمِّلُ أَنَّ الْمَرَادَ مَخْتُومٌ عَنْ أَنْ يَدْخُلَهُ شَيْءٌ يُنْقَصُ لَذْتَهُ أَوْ يُفْسِدُ طَعْمَهُ، وَذَلِكَ الْخَتَامُ الَّذِي خَتَمَ بِهِ مَسْكٌ، وَيُحَتمِّلُ أَنَّ الْمَرَادَ أَنَّهُ الَّذِي يَكُونُ فِي أَخْرِ الْإِنَاءِ الَّذِي يَشْرِبُونَ مِنْهُ الرَّحِيقَ حَثَّالَةً، وَهِيَ الْمَسْكُ الْأَذْفَرُ؛ فَهُذَا الْكَدْرُ مِنْهُ الَّذِي جَرَتِ الْعَادَةُ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ يَرَاقُ يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ بِهَذِهِ الْمِثَابَةِ. ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾؛ النَّعِيمُ الْمَقِيمُ الَّذِي لَا يَعْلَمُ حَسْنَهُ وَمَقْدَارَهُ^(٤) إِلَّا اللَّهُ، ﴿فَلَيَتَنَافَسُ الْمُتَنَافِسُونَ﴾؛ أَيْ: فَلَيَتَسَابَقُوا^(٥) فِي الْمِبَادِرَةِ إِلَيْهِ وَالْأَعْمَالِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهِ؛ فَهُذَا أُولَئِكَ مَا بُذْلَتْ فِيهِ نَفَائِسُ الْأَنْفَاسِ، وَأَحْرَى مَا تَزَاحَمَتْ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ فَحَوْلُ الرِّجَالِ. وَمِزاجُ هَذَا الشَّرَابِ ﴿مِنْ ثَنَنِيمٍ﴾؛ وَهِيَ عَيْنُ ﴿يُشَرِّبُ بِهَا الْمَقْرِبُونَ﴾؛ صَرْفًا، وَهِيَ أَعْلَى أَشْرِبَةِ الْجَنَّةِ عَلَى الإِطْلَاقِ؛ فَلَذِلِكَ كَانَتْ خَالِصَةً لِلْمَقْرِبِينَ، الَّذِينَ هُمْ أَعْلَى الْخُلُقِ مَنْزَلَةً، وَمَمْزُوجَةً لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ؛ أَيْ: مَخْلُوطَةً بِالرَّحِيقِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَشْرِبَةِ الْلَّذِيَّةِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ إِمَّا مَنْتَوْا يَضْحَكُونَ^(٦) ٢٧﴾ وَإِذَا أَنْقَبُوا إِلَيْهِمْ أَنْقَبُوا فَكِهِينَ^(٧) ٢٨﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَائِلُونَ^(٨) ٢٩﴾ وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ^(٩) ٣٠﴾ فَلَيَوْمَ الَّذِينَ إِمَّا مَنْتَوْا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ^(١٠) ٣١﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ^(١١) ٣٢﴾ هَلْ ثُوَبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْلُوْنَ^(١٢) ٣٣﴾.

﴿٢٩﴾ لِمَا ذَكَرَ تَعَالَى جَزَاءَ الْمُجْرِمِينَ وَجَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ، وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَاوتِ الْعَظِيمِ؛ أَخْبَرَ أَنَّ الْمُجْرِمِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَسْخُرُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَيَسْتَهِزُّونَ بِهِمْ وَ(يَضْحَكُونَ)؛ مِنْهُمْ، فَ(يَنْغَامِزُونَ)؛ بِهِمْ عَنْدَ مَرْوِهِمْ عَلَيْهِمْ

(١) في (ب): «أيتها الناظر إليهم». (٢) في (ب): «بهاء النعيم».

(٣) في (ب): «فإن توالى اللذة والسرور». (٤) في (ب): «مقداره وحسنها».

(٥) في (ب): «يتسابقون».

(٦) في (أ): إلى آخر السورة. وفي (ب) ذكر الآيات.

احتقاراً لهم وازدراء، ومع هذا تراهم مطمئنين لا يخطر الخوف على بالهم، ﴿وإذا انقلبوا إلى أهليهم﴾: صباحاً أو مساء، ﴿انقلبوا فكهين﴾؛ أي: مسرورين مغبظين، وهذا أشد ما يكون^(١) من الاغترار؛ أنهم جمعوا بين غاية الإساءة مع الأمان^(٢) في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب وعهد من الله^(٣) أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون؛ افتراء على الله، وتجرؤوا على القول عليه بلا علم. قال تعالى: ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾؛ أي: وما أرسلوا وكلاء على المؤمنين، ملزمين بحفظ أعمالهم، حتى يحرصوا على رميهم بالضلال، وما هذَا منهم إلّا تعثّر وعناد وتلاعّب ليس له مستند ولا برهان.

﴿٣٦ - ٣٤﴾ ولهذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس عملهم؛ قال تعالى: ﴿فاليوم﴾؛ أي: يوم القيمة، ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾: حين يروئهم في عمرات العذاب يتقلّبون وقد ذهب عنهم ما كانوا يفترون، والمؤمنون في غاية الراحة والطمأنينة ﴿على الأرائك﴾: وهي السر المزيّنة، ﴿ينظرُون﴾: إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم. ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾؛ أي: هل جوزوا من جنس عملهم؟ فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورمّوه بالضلال؛ ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، حين رأوهـم^(٤) في العذاب والنّكال الذي هو عقوبة الغي والضلال. نعم؛ ثوبوا ما كانوا يفعلون عدلاً من الله وحكمه. والله عليم حكيم.



تفسير سورة الانشقاق

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا أَلْقَاهُمْ أَنْشَقَتْ﴾ **﴿١﴾** **وَأَنْتَ لِرَبِّكَ وَحْتَ** **﴿٢﴾** **وَإِذَا أَلْقَشَ مُذَنَّ** **﴿٣﴾** **وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ**
﴿٤﴾ **وَأَذَنَتْ لِرَبِّكَ وَحْتَ** **﴿٥﴾** **يَكَاهُمَا إِلَّا سُنْ إِنَّكَ كَادِعٌ إِلَى رَبِّكَ كَذَّا فَنَلَقِيهِ** **﴿٦﴾** **فَأَمَّا مَنْ**

(١) في (ب): «مغبظين»، وهذا من أعظم ما يكون.

(٢) في (ب): «والآمن».

(٣) في (ب): «كتاب من الله وعهد».

(٤) في (ب): «ورأوهـم».

(٥) في (أ): إلى قوله: «بلـى إن ربهـ كان به بصيراً». وفي (ب) ذكر الآيات.

أُوقَ كِتَمْ بِيْمِينَهُ ٧ فَسَوْفَ يَجَسِّسُ حَسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنْقُلُبُ إِلَهَ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ٩ وَأَنَا مَنْ
أُوقَ كِتَمْ دَرَةً ظَهَرِهِ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا بُورًا ١١ وَيَنْصَلَ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا
إِنَّهُ طَنَّ أَنْ لَنْ يَجُوزَ ١٣ بَلْ إِنْ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَعِيرًا ١٤ ١٥ إِنَّهُ طَنَّ أَنْ لَنْ يَجُوزَ ١٦

﴿١ - ٢﴾ يقول تعالى مبيناً لما يكون في يوم القيمة من تغير الأجرام العظام: «إذا السماء انشقت»؛ أي: انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتشرت نجومها، وخسف شمسها وقمرها، «وأدنت لربها»؛ أي: استمعت لأمره وألقت سماعها وأصاحت لخطابه، أي: حق لها ذلك؛ فإنها مسخرة مدبرة تحت مسخر ملك عظيم لا يعصي أمره ولا يخالف حكمه.

﴿٣ - ٥﴾ «وإذا الأرض مدت»؛ أي: رجفت وارتجمت ونسفت عليها جبالها ودك ما عليها من بناء ومعلم فسوية، ومدّها الله مدار الأديم، حتى صارت واسعة جداً، تسع أهل الموقف على كثرتهم، فتصير قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، «وألقت ما فيها»؛ من الأموات والكنوز، «وتخلّت»؛ منهم؛ فإنه ينفح في الصور، فتخرج الأموات من الأجداث إلى وجه الأرض، وتخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالإسطوان العظيم، يشاهده الخلق ويتحسرون على ما هم فيه يتنافسون، «وأدنت لربها وحقّت».

﴿٦﴾ «يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملأيه»؛ أي: إنك ساع إلى الله وعامل بأوامره ونواهيه ومتقرب إليه إما بالخير وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيمة؛ فلا تعدم منه جزاء بالفضل أو العدل؛ بالفضل إن كنت سعيداً، وبالعقوبة إن كنت شقياً^(١).

﴿٧ - ٩﴾ ولهذا ذكر تفصيل الجزاء، فقال: «فاما من أتي كتابه بيمينه»؛ وهو أهل السعادة، «فسوف يحاسب حساباً يسيراً»؛ وهو العرض اليسير على الله، فيقرره الله بذنبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك؛ قال الله تعالى: إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أسترها لك اليوم^(٢)، «وينقلب إلى أهله»؛ في الجنة «مسروراً»؛ لأنّه قد نجا من العذاب وفاز بالثواب.

(١) في (ب): «جزاء بالفضل إن كنت سعيداً أو بالعدل إن كنت شقياً».

(٢) كما في «صحيف البخاري» (٦٠٧٠)، ومسلم (٢٧٦٨).

﴿١٠ - ١٥﴾ ﴿وَمَا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهِيرَةً﴾؛ أي: بـشماله من وراء ظهره^(١)، ﴿فَسُوفَ يَدْعُ ثُبُورًا﴾؛ من الخزي والفضيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدمها ولم يتتب منها، ﴿وَيَصْلِي سَعِيرًا﴾؛ أي: تحيط به السعير من كل جانب، ويقلب على عذابها، وذلك لأنّه ﴿كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾؛ لا يخطر البعث على باله، وقد أساء، ولا^(٢) يظنّ أنه راجع إلى ربّه ومحظوظ بين يديه. ﴿بَلِّي إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾؛ فلا يحسن أن يتركه سدى لا يُؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾^(٣) ﴿وَاللَّيلِ وَمَا وَسَقَ﴾^(٤) ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا أَتَسَقَ﴾^(٥) لـتَرْكَبُنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقِ﴾^(٦) فَمَا لَمْتُمْ لَا يَؤْمِنُونَ﴾^(٧) ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾^(٨) بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٩) ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوَعِّزُونَ﴾^(١٠) فَيُشَرِّهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١١) ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يَأْزِجْ عَيْنُ مَتَّمُونَ﴾^(١٢).

﴿١٦ - ١٩﴾ أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسام بالشفق؛ الذي هو بقية نور الشمس الذي هو مفتاح الليل، ﴿وَاللَّيلِ وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: احتوى عليه من حيوانات وغيرها، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا أَتَسَقَ﴾؛ أي: امتلا نوراً بإبداره، وذلك أحسن ما يكون وأكثر منافع. والمقصود عليه قوله: ﴿لـتَرْكَبُنَ﴾؛ أي: أليها الناس ﴿طَبَقًا﴾؛ بعد طبق؛ أي: أطواراً متعددة وأحوالاً متباعدة من النطفة إلى العلقة إلى المضعة إلى نفخ الروح، ثم يكون وليداً وطفلاً ومميراً^(٤)، ثم يجري عليه قلم التكليف والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يتبعث ويجازى بأعماله؛ فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد دالة على أنَّ الله وحده هو المعهود الموحد المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأنَّ العبد فقير عاجز تحت تدبير العزيز الرحيم.

﴿٢٠ - ٢٤﴾ ومع هذا؛ فكثير من الناس لا يؤمنون، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾؛ أي: لا يخضعون للقرآن ولا ينقادون لأوامره ونواهيه، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾؛ أي: يعانون الحقّ بعدما تبيّن؛ فلا يُستَغْرِبُ عدم إيمانهم

(١) في (ب): «من خلفه».

(٢) في (ب): «ولم».

(٣) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات.

(٤) في (ب): «ثم مميراً».

وأنقيادهم^(١) للقرآن؛ فإن المكذب بالحق عناداً لا حيلة فيه، «والله أعلم بما يوعون»؛ أي: بما يعلموه وينوونه سرّاً؛ فالله يعلم سرّهم وجههم، وسيجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: «فبشرهم بعذاب أليم»؛ وسميت البشرارة بشارّة؛ لأنّها تؤثّر في البشرة سروراً أو غماً.

﴿٢٥﴾ فهذا حال أكثر الناس؛ التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان به. ومن الناس فريق هداهم الله فآمنوا بالله وقبلوا ما جاءتهم به الرّسل، فـ﴿آمنوا وعملوا الصالحات﴾؛ فهو لاء «لهم أجر غير ممنون»؛ أي: غير مقطوع، بل هو أجر دائم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطّر على قلب بشرٍ. والحمد لله^(٢).

* * *

تفسير سورة البروج

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْمَلَائِكَةُ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعِدِ﴾ ﴿٢﴾ وَشَاهِدُوْرَ شَهُودُر﴾ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَحْدَادِ﴾ ﴿٤﴾ أَنَّارِي ذَاتِ الْوَقْوَدِ﴾ ﴿٥﴾ إِذَا هُرِّ عَلَيْهَا قُوَودُ﴾ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ يَمْؤُدُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شَهُودُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَا نَفَعُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا يَا اللَّهُ أَنْزِلْنَا الْحَمْدَ﴾ ﴿٨﴾ الَّذِي لَمْ يُكُنْ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَنَّا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَمْ يَمْعَدُ الْمَرْيَقُ﴾ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ مَاءَنُوا وَعَمِلُوا أَصْنَاعَتِهِنَّ هُنْ جَنَاحُ تَبَرِّي مِنْ تَخْنِيَّ الْأَنْهَارِ ذَلِكَ الْقَوْزُ الْكَيْرُ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يَبْيَدُ وَيَعِيدُ﴾ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ ﴿١٤﴾ ذُو الْعِرْشِ الْمَجِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ نَعَالِ لِمَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٦﴾ هَلْ أَنْكَ حَدَّيْتُ الْجَنَوْرَ﴾ ﴿١٧﴾ فَرَعَوْنَ وَمَوْدَ﴾ ﴿١٨﴾ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ﴾ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ شُجِطُ﴾ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ فَرْعَانٌ بَجِيدٌ﴾ ﴿٢١﴾ فِي لَوْجٍ مَحْفُوظٍ﴾ ﴿٢٢﴾ .

﴿١ - ٣﴾ «والسماء ذات البروج»؛ أي: ذات المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر والكواكب المنتظمة في سيرها على أكمل ترتيب ونظام دالٌ على كمال قدرة الله [تعالى] ورحمته وسعة علمه وحكمته. «والاليوم الموعود»؛ وهو

(١) في (ب): «وعدم انقيادهم». (٢) في (ب): «تم تفسير السورة. والله الحمد».

(٣) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

يُوْمُ الْقِيَامَةِ، الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ الْخَلْقَ أَنْ يَجْمَعُهُمْ فِيهِ وَيُضْمِنَ فِيهِ أُولَئِمْ وَآخَرَهُمْ وَقَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ، الَّذِي لَا يَمْكُنُ أَنْ يَتَغَيِّرَ وَلَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادُ。»
وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ»: وَشَمَلَ هَذَا كُلًّا مِنْ اَتَصْفَ بِهَذَا الْوَصْفِ؛ أَيْ: مُبَصِّرٌ وَمُبَصِّرٌ وَحَاضِرٌ وَمُحْضُورٌ وَرَاءٌ وَمَرْئَى. وَالْمَقْسُمُ عَلَيْهِ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْقَسْمُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْبَاهِرَةِ وَجِكْمَهُ الظَّاهِرَةِ وَرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ. وَقَيْلٌ: إِنَّ الْمَقْسُمَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ:

﴿٤ - ٩﴾ **«قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ»**: وَهُذَا دُعَاءُ عَلَيْهِمْ بِالْهَلاَكِ، وَالْأَخْدُودُ الْحُفَرُ الَّتِي تُخْفَرُ فِي الْأَرْضِ، وَكَانَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودَ^(١) هُؤُلَاءِ قَوْمًا كَافِرِينَ، وَلَدِيهِمْ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ، فَرَأَوْهُمْ عَلَى الدُّخُولِ^(٢) فِي دِينِهِمْ، فَامْتَنَعَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَشَقَّ الْكَافِرُونَ أَخْدُودًا فِي الْأَرْضِ، وَقَدْفَوْا فِيهَا النَّارَ، وَقَعَدُوا حَوْلَهَا، وَفَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَضُوهُمْ عَلَيْهَا؛ فَمَنْ اسْتَجَابَ لَهُمْ أَطْلَقُوهُ، وَمَنْ اسْتَمَرَ عَلَى الإِيمَانِ قُذْفُوهُ فِي النَّارِ، وَهُذَا غَايَةُ الْمُحَارَبَةِ لِلَّهِ وَلِحَزْبِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِهُذَا لَعْنُهُمُ اللَّهُ وَأَهْلَكُهُمْ وَتَوْعِدُهُمْ، فَقَالَ: **«قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ»**، ثُمَّ فَسَرَ الْأَخْدُودُ بِقَوْلِهِ: **«النَّارُ ذَاتُ الْوَقْدَدِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قَعُودُ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شَهُودُ»**: وَهُذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ مِنْ التَّجَبُرِ وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ؛ لَأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الْكُفَّارِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَمَعَانِدِهِ وَمُحَارَبَةِ أَهْلِهِ وَتَعذِيبِهِمْ بِهَذَا الْعَذَابِ الَّذِي تَنَفَّطَرُ مِنْ الْقُلُوبِ وَحُضُورُهُمْ إِيَّاهُمْ عِنْ إِلَقَائِهِمْ فِيهَا. وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مَا نَقَمُوا مِنِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حَالَةً^(٣) يُمْدَحُونَ عَلَيْهَا وَبِهَا سَعادَتُهُمْ، وَهِيَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ **«بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»**؛ أَيْ: الَّذِي لِهِ الْعَزَّةُ، الَّتِي قَهَّرَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ حَمِيدٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَوْصَافِهِ^(٤). **«الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»**: خَلَقَ وَعَيْدَأً يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ^(٥). **«وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»**: عَلِمَّا وَسَمِعَّا وَبَصَرَّاً؛ أَفَلَا خَافُ هُؤُلَاءِ^(٦) الْمُتَمَرِّدُونَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذُهُمْ **«الْعَزِيزُ الْمُقْتَدِرُ»**، أَوْ مَا عَلِمُوا كُلُّهُمْ أَنَّهُمْ مَمْالِكُ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ سُلْطَةٌ مِنْ دُونِ إِذْنِ الْمَالِكِ؟! أَوْ خَفِيَ عَلَيْهِمْ

(١) قصة أصحاب الأخدود، أخرجهها مسلم (٣٠٠٥).

(٢) في (ب): «للدخول».

(٣) في (ب): «إلا خصلة».

(٤) في (ب): «وأوصافه وأفعاله».

(٥) في (ب): «يتصرف فيهم تصرف المالك بملكه».

(٦) في (ب): «على الله أن يطش بهم».

(٧) في (ب): «أو ما علموا أنهم جمعهم».

أَنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِأَعْمَالِهِمْ مِجَازِيهِمْ عَلَيْهَا^(١)؟ كَلَّا إِنَّ الْكَافِرَ فِي غَرْوِرٍ، وَالْجَاهِلَ فِي عَمَىٰ وَضَلَالٍ^(٢) عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

﴿١٠﴾ ثُمَّ أُوعِدُهُمْ وَوُعْدُهُمْ وَعَرَضُ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةُ، فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنَّا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقُ»؛ أَيْ: الْعَذَابُ الشَّدِيدُ الْمُحْرَقُ. قَالَ الْحَسْنُ رَحْمَهُ اللَّهُ^(٣): انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرْمُ وَالْجُودُ؛ قُتِلُوا أُولَئِكَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ.

﴿١١﴾ وَلَمَّا ذُكِرَ عَقُوبَةُ الظَّالِمِينَ؛ ذُكْرُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا^(٤) بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»؛ بِجَوَارِحِهِمْ، «إِلَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذُلْكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ»؛ الَّذِي حَصَّلَ لَهُمْ^(٤) الْفَوْزُ بِرَضَا اللَّهِ وَدَارَ كَرَامَتُهُ.

﴿١٢﴾ «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لِشَدِيدٌ»؛ أَيْ: إِنْ عَقُوبَتِهِ لِأَهْلِ الْجَرَائِمِ وَالذُّنُوبِ الْعَظَامِ لِقوَيَّةٍ شَدِيدَة^(٥)، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمَرْصادِ^(٦)؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْبَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ».

﴿١٣﴾ «إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِدُ»؛ أَيْ: هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِإِبْدَاءِ الْخَلْقِ وَإِعْادَتِهِ؛ فَلَا يُشَارِكُهُ فِي ذُلْكَ مُشَارِكٌ^(٧).

﴿١٤﴾ «وَهُوَ الْغَفُورُ»؛ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا لِمَنْ تَابَ، وَيَعْفُوُ عَنِ السَّيِّئَاتِ لِمَنْ اسْتَغْفَرَهُ وَأَنْابَ. «الْوَدُودُ»؛ الَّذِي يَحْبُّهُ أَحْبَابَهُ مَحْبَّةً لَا يُشَبِّهُهَا شَيْءٌ؛ فَكَمَا أَنَّهُ لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ فِي صَفَاتِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ وَالْمَعْانِي وَالْأَفْعَالِ؛ فَمَحْبَّتُهُ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ خَلْقِهِ التَّابِعَةِ لِذُلْكَ لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُحَابَّ، وَلِهُذَا كَانَتْ مَحْبَّتُهُ أَصْلُ الْعِبُودِيَّةِ، وَهِيَ الْمَحْبَّةُ الَّتِي تَقْدُمُ جَمِيعَ الْمُحَابَّ وَتَغْلِبُهَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ غَيْرُهَا تَبِعًا لَهَا؛ كَانَتْ عَذَابًا عَلَى أَهْلِهَا، وَهُوَ تَعَالَى الْوَدُودُ الْوَادُ لِأَحْبَابِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ»؛ وَالْمُوَدَّةُ هِيَ الْمَحْبَّةُ الصَّافِيَّةُ.

وَفِي هَذَا سُرُّ لَطِيفٍ؛ حِيثُ قَرَنَ الْوَدُودُ بِالْغَفُورِ؛ لِيَدُلُّ ذُلْكَ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الذُّنُوبِ إِذَا تَابُوا إِلَى اللَّهِ، وَأَنَابُوا غَفْرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَأَحْبَبُهُمْ فَلَا يَقُولُ تَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ، وَلَا

(١) فِي (بِ): «مِجَازٌ لَهُمْ عَلَى فَعَالِهِمْ». (٢) فِي (بِ): «وَالظَّالِمُ فِي جَهَلٍ وَعَمَى».

(٣) أَيْ: الْحَسْنُ الْبَصْرِيُّ. انْظُرْ «تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ» (٣٩٣/٨).

(٤) فِي (بِ): «بَهُ».

(٥) فِي (بِ): «وَالذُّنُوبُ الْعَظَامُ لَشَدِيدَةٌ».

(٦) فِي (بِ): «وَهُوَ بِالْمَرْصادِ لِلظَّالِمِينَ». (٧) فِي (بِ): «فَلَا مُشَارِكٌ فِي ذُلْكَ».

يرجع إليهم الود كما قاله بعض الغالطين، بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب من رجل على راحلته عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأصلحها في أرض فلة مهلكة، فليس منها، فاضطجع في ظل شجرة يتضرر الموت، في بينما هو على تلك الحال؛ إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها^(١). فالله أعظم فرحاً بتوبة العبد من هذا براحته، وهذا أعظم فرح يقدر؛ فللله الحمد والثناء وصفو الوداد ما أعظم بره وأكثر خيره وأغزر إحسانه وأوسع امتنانه!

﴿١٥﴾ «ذو العرش المجيد»؛ أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته أنه وسع السماوات والأرض والكرسي؛ فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلة بالنسبة لسائر الأرض^(٢)، وخص الله العرش بالذكر لعظمته، ولأنه أخْصَ المخلوقات بالقرب منه [تعالى]. وهذا على قراءة الجر يكون «المجيد» نعتاً للعرش، وأما على قراءة الرفع؛ فإنه يكون نعتاً لله^(٣)، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها.

﴿١٦﴾ «فعَالٌ لما يرِيد»؛ أي: مهما أراد شيئاً؛ فعله، إذا أراد شيئاً؛ قال له: كن، فيكون، وليس أحد فعالاً لما يرید إلا الله؛ فإن المخلوقات ولو أرادت شيئاً؛ فإنه لا بد لإرادتها من معاونٍ وممانع، والله لا معاون لإرادته ولا ممانع له مما أراد.

﴿١٧ - ١٨﴾ ثم ذكر من أفعاله الدائمة على صدق ما جاءت به رسالته، فقال: «هل أتاك حديث الجنود. فرعون وثموذج»؛ وكيف كذبوا المرسلين فجعلهم الله من المهلكين.

﴿١٩﴾ «بل الذين كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ»؛ أي: لا يزالون مستمرين على التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تُجدي لديهم العظات.

﴿٢٠﴾ «وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مَحِيطٌ»؛ قد أحاط بهم علماً وقدرة؛ كقوله: «إِنَّ

(١) كما في «صحیح البخاری» (٨٠٣)، ومسلم (٤٤٧٢) عن عدة من الصحابة بالفاظ مختلفة.

(٢) كما في كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي (٥٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، والحديث صححه الألباني في «الصحيح» (٩٠١) وقال: «واعلم أنه لا يصح حديث مرفوع عن النبي ﷺ في صفة العرش إلا هذا الحديث».

(٣) في (ب): «فَإِنَّ الْمَجِيدَ نَعْتُ لَهُ».

رِبَّكَ لِبِالْمَرْصَادِ»؛ ففيه الوعيد الشديد للكافرين من عقوبة مَنْ هُمْ في قبضته وتحت تدبيرة.

﴿٢١ - ٢٢﴾ «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ»؛ أي: وسِعَ المعانِي عظيمُها كثِيرُ الخير والعلم. «فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ»: من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو اللوح المحفوظ، الذي قد أثَبَ اللَّهُ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ، وهذا يدلُّ على جلالَةِ القرآنِ وجزالتَهُ ورفعَةِ قدرِهِ عندَ اللَّهِ تَعَالَى. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

تم تفسيرها^(١).

* * *

تفسير سورة الطارق

وهي مكية

سَمِعَ أَنْهُ الرَّبُّ الْعَزِيزُ

﴿وَالسَّمَاءُ وَالظَّارِقُ﴾ (١) وَمَا أَرْدَكَ مَا الظَّارِقُ (٢) الْجَمْعُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلَيَنْظُرْ إِلَيْنَاهُ يَمَّا حَلَقَ (٥) حَلَقَ مِنْ مَأْوَى دَافِيٍ (٦) يَخْجُلُ مِنْ بَيْنِ الْعَلَبِ وَالْأَرَبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى تَعْبِيهِ لَغَارِرٌ (٨) يَوْمَ تَبْلَى الْأَشْرَارُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَاسْتَوْذَاتِ الْجَمْعِ (١١) وَالْأَرْضِ (١٢) ذَاتِ الْأَصْنَاعِ (١٣) إِنَّهُ لَقُولٌ فَصِلٌ (١٤) وَمَا هُوَ بِالْمُرْزِلِ (١٥) لِتَهُمْ يَكِيدُونَ كِيدًا (١٦) وَأَكِيدُ كِيدًا (١٧) فَهُمْ الْكَفِرُونَ أَتَهُمْ رَوِيدًا (١٨)﴾.

﴿١ - ٤﴾ يقول اللَّهُ تَعَالَى: «وَالسَّمَاءُ وَالظَّارِقُ»: ثُمَّ فَسَرَ الطَّارِقَ بِقولِهِ: «الْجَمْعُ الثَّاقِبُ»؛ أي: المضيءُ الذي يثقبُ نورَهُ فيخرقُ السماواتَ فينفذُ حتى يُرى في الأرضِ. والصحيحُ أَنَّهُ اسْمُ جنسٍ يشملُ سائرَ النجومِ الثوابِ. وقد قيلَ: إِنَّهُ زحلُّ، الذي يخرقُ السماواتَ السبعَ وينفذُها^(٣) فَيُرى منها، وسُمِّيَ طارِقاً لِأَنَّهُ يطرقُ ليلاً. والمقسَمُ عليهِ قولهِ: «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ»: يحفظُ عليهاً أعمالَها الصالحةُ والسيئةُ، وستُجازى بِعِملِها المحفوظُ عليها.

(١) في (ب): «تَمَّ تفسير السورة».

(٢) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

(٣) في (ب): «وينفذ فيها».

﴿٥ - ٧﴾ **﴿فَلِينظُرِ الْإِنْسَانُ مَمْ خُلِقَ﴾**؛ أي: فليتدبر خلقه ومبدأه؛ فإنه مخلوق **﴿مِنْ مَاءِ دَافِقٍ﴾**: وهو المنئي، الذي **﴿يُخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالترَابِ﴾**: يُحتمل أنه من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهي ثدياهما، ويُحتمل أنَّ المراد المنئي الدافق، وهو منئي الرجل، وأنَّ محلَّه الذي يخرج منه ما بين صلبه وترائيه، ولعلَّ هذا أولى؛ فإنَّه إنما وصف به الماء الدافق الذي يُحسُّ به ويشاهدُ دفقة^(١)، وهو منئي الرجل، وكذلك لفظ الترائب؛ فإنها تستعمل للرجل؛ فإنَّ الترائب للرجل بمنزلة الثديين للأئمَّة؛ فلو أريدت الأنئي؛ لقليل^(٢) من الصلب والثديين ونحو ذلك. والله أعلم.

﴿٨ - ١٠﴾ فالذى أوجد الإنسان من ماء دافق يخرج من هذا الموضع الصعب قادر على رجعه في الآخرة وإعادته للبعث والنشور والجزاء. وقد قيل: إنَّ معناه أنَّ الله على رجع الماء المدفوق في الصلب لقادره، وهذا وإن كان المعنى صحيحًا؛ فليس هو المراد من الآية، ولهذا قال بعده: **﴿يَوْمَ تُبَلَّى السَّرَايَات﴾**؛ أي: تختبر سرائر الصدور ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر على صفحات الوجه؛ كما قال تعالى: **﴿يَوْمَ تُبَيِّضُ وِجْهَهُ وَتُسُودُ وِجْهَهُ﴾**؛ ففي الدنيا تنكمش كثيرًا من الأشياء ولا يظهر عيانًا للناس، وأمامًا يوم القيمة^(٣)؛ فيظهر بُرُّ الأبرار وفجور الفجار، وتصير الأمور علانةً. قوله: **﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّة﴾**؛ أي: من نفسه يدفع بها^(٤)، **﴿وَلَا نَاصِرٌ﴾**: من خارج^(٥) ينتصر به، فهذا القسم على العاملين وقت عملهم وعند جزائهم.

﴿١١ - ١٤﴾ ثم أقسام قسمًا ثانيةً على صحة القرآن، فقال: **﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرَّجْعِ. وَالأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ﴾**؛ أي: ترجع السماء بالمطر كلَّ عام، وتتصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الأدميون والبهائم، وترجع السماء أيضًا بالأقدار والشُّؤون الإلهيَّة كلَّ وقت، وتتصدع الأرض عن الأموات، **﴿إِنَّهُ﴾**؛ أي: القرآن، **﴿لِقَوْلِ فَصْلٍ﴾**؛ أي: حقٌّ وصدقٌ بين واضحٍ، **﴿وَمَا هُوَ بِالْهَذْلِ﴾**؛ أي: جدٌ ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف والمقالات، وتتفصل به الخصومات.

(١) في (ب): «إنما وصف الله به الماء الدافق والذي يحسُّ ويشاهد دفقة».

(٢) في (ب): «القال».

(٣) في (ب): «وأما في القيمة».

(٤) في (ب): «فما له من قوة»: يدفع بها عن نفسه».

(٥) في (ب): «ولَا ناصِرٌ»: خارجي».

﴿١٥ - ١٧﴾ ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: المكذبين للرسول ﷺ وللقرآن، ﴿يَكِيدُونَ كِيدًا﴾؛
ليدفعوا بكيدِهم الحقَّ ويؤيُّدُوا الباطل، ﴿وَأَكِيدُ كِيدًا﴾؛ لإظهار الحقَّ، ولو كره
الكافرون، ولدفع ما جاؤوا به من الباطل، ويعمل بهذا مَنِ الغالب؛ فإنَّ الْأَدْمَى
أضعف وأحقرُ من أن يغالب القويُّ العليم في كيده. ﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهُلْهُمْ
رُوِيْدَا﴾؛ أي: قليلاً، فسيعلمون^(١) عاقبة أمرهم حين يتزل بهم العقاب.
تم تفسيرها^(٢). والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة سجع

وهي مكية

سجع أَمَّةُ الْكُفَّارِ الْمُسْكُدِ

﴿سَجَعَ أَسْمَ رِتَكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَى (٢) وَالَّذِي فَدَرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمُرْعَى
فَجَعَلَهُمْ غَنَاءً أَخْرَى (٤) سُقْرِيْكَ لَا تَسْتَكَ (٥) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّمَا يَعْلَمُ الْجَهَرَ وَمَا يَخْفِي
وَيُنَيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى (٦) فَذَكَرَ إِنْ تَفَعَّتِ الْذِكْرَى (٧) سَيْدَكَرُ مَنْ يَخْشَى (٨) وَيَنْجِبُهَا الْأَشْقَى (٩) الَّذِي
يَصْلِي الْأَتَارَ الْكُبْرَى (١٠) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَعْيَى (١١) قَدْ أَنْجَحَ مَنْ تَرَكَ (١٢) وَذَكَرَ أَسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٣) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٤) إِنَّ هَذَا لَفِي الصَّحِيفِ الْأَوَّلِ (١٥)
صَحِيفٌ إِنْزَاهِمَ وَمُوسَى (١٦)﴾.

﴿١ - ٣﴾ يأمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته والخصوص لجلاله
والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحاً يليق بعظمة الله تعالى؛ بأن تذكر أسماؤه
الحسنى العالية على كل اسم بمعناها العظيم الجليل^(٤)، وتذكر أفعاله التي منها أنه
خلق المخلوقات فسوها؛ أي: أتقن وأحسن خلقها، ﴿وَالَّذِي قَدَرَ﴾؛ تقديرًا تبعه
جميع المقدرات، ﴿فَهَدَى﴾؛ إلى ذلك جميع المخلوقات، وهذه الهدایة العامة التي
مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته.

﴿٤ - ٥﴾ وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال^(٥): ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾؛ أي:

(١) في (ب): «فسيعلمون».

(٢) في (ب): «تم تفسير سورة الطارق».

(٣) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

(٤) في (ب): «الحسن العظيم».

(٥) في (ب): «قال فيها».

أنزل من السماء ماء، فأنبت به أصناف^(١) النبات والعشب الكبير، فرتع فيه الناسُ والبهائم وجميع الحيوانات^(٢). ثم بعد أن استكمل ما قدرَ له من الشباب؛ ألوى نباته وصوح عشبها، «فجعله غثاءً أحوى»؛ أي: أسود؛ أي: جعله هشيمًا رميمًا.

٦ - ٧) ويدرك فيها نعمه الدينية، ولهذا امتنَ الله بأصلها وماذتها، وهو القرآن، فقال: «سنقرئك فلا تنسى»؛ أي: سنحفظ ما أوحيناه إليك من الكتاب ونوعيه قلبك؛ فلا تنسى منه شيئاً، وهذه بشارة من الله كبيرة^(٣) لعبدة رسوله محمد^ص؛ أنَ الله سيعلمك علمًا لا ينساه، «إلا ما شاء الله»؛ مما اقتضت حكمته أن ينسكه لمصلحةٍ وحكمةٍ بالغة. «إنه يعلم الجهر وما يخفى»؛ ومن ذلك أنه يعلم ما يُصلح عباده؛ أي: فلذلك يشرع ما أراد ويحكم بما يريد^(٤).

٨) «ونيسرك لليسرى»؛ وهذه أيضاً بشارة أخرى^(٥)؛ أنَ الله ييسر رسوله^ص لليسرى في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسيراً^(٦).

٩ - ١٣) «فذكر»؛ بشرع الله وأياته، «إن نفع الذكرى»؛ أي: ما دامت الذكرى مقبولة والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه. ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى؛ بأنَ كان التذكير يزيد في الشر أو ينبع من الخير؛ لم تكن مأمورة بها، بل منهاً عنها؛ فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: متfunون، وغير متfunين. فاما المتfunون فقد ذكرهم بقوله: «سيذكر من يخشى»؛ الله؛ فإنَ خشية الله تعالى والعلم بمجازاته على الأعمال توجب للعبد الانكماش عَمَّا يكرهه الله^(٧) والسعى في الخيرات، وأمَّا غير المتfunين؛ فذكرهم بقوله: «ويتجبهها الأشقي.. الذي يصلى النار الْكُبْرِي»؛ وهي النار الموقدة، التي تطلُّ على الأفندة، «ثم لا يموت فيها ولا يخيا»؛ أي: يعذب عذاباً أليماً من غير راحة ولا استراحة، حتى إنهم يتمتّون الموت؛ فلا يحصل لهم؛ كما قال تعالى: «لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها».

(٢) في (ب): «وكل حيوان».

(١) في (ب): «أنواع».

(٣) في (ب): «كبيرة من الله».

(٤) في (ب): «فلذلك يحكم بما».

(٥) في (ب): «كبيرة».

(٧) في (ب): «فإن خشيته الله وعلمه بأن سيجازيه على أعماله توجب للعبد الانكماش عن المعاصي».

﴿١٤ - ١٥﴾ ﴿قد أفلح من تَرَكَ﴾؛ أي: قد فاز وربح من ظهر نفسه ونقاءها من الشرك والظلم ومساوي الأخلاق، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾؛ أي: أتصف بذكر الله، وانصياع به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله، خصوصاً الصلاة، التي هي ميزان الإيمان. هذا معنى الآية [الكريمة]، وأماماً من فسر قوله: ﴿تَرَكَ﴾؛ يعني^(١): أخرج زكاة الفطر، و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾؛ أنه صلاة العيد؛ فإنّه وإن كان داخلاً في اللفظ وبعض جزئياته؛ فليس هو المعنى وحده.

﴿١٦ - ١٧﴾ ﴿بَلْ تُؤثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾؛ أي: تقدمونها على الآخرة، وتختارون نعيمها المكدر الزائل على الآخرة، ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾؛ خيراً من الدنيا في كلّ وصف مطلوب، ﴿وَأَبْقَى﴾؛ لكونها دار خلد ويقاء [وصفاء] والدنيا دار فناء. فالمؤمن العاقل لا يختار الأرداً على الأجد، ولا يبيع للذلة ساعة بترحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيبة.

﴿١٨ - ١٩﴾ ﴿إِنَّ هَذَا﴾؛ المذكور لكم في هذه السورة المباركة من الأوامر الحسنة والأخبار المستحسنة، ﴿لِفِي الصُّحْفِ الْأُولَىٰ . صُحْفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾؛ اللذين هما أشرف المرسلين بعد^(٢) محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين. فهذه أوامر في كل شريعة؛ لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان.

تمت. ولله الحمد^(٣).



تفسير سورة الغاشية

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ الْفَنِشَيْةِ﴾^(٤) ١ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِعَةٌ﴾ ٢ ﴿عَالِمَةٌ نَّاسِيَةٌ﴾ ٣ ﴿تَقْنَلَ نَارًا حَامِيَةً﴾ ٤ ﴿تَشْقَى مِنْ عَيْنَ إِبْيَرَةٍ﴾ ٥ ﴿لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ ٦ ﴿لَا يَسْعَنُ وَلَا يَغْنِي مِنْ حُجُوعٍ﴾ ٧ ﴿وُجُوهٌ﴾ ٨ ﴿تَشْقَى مِنْ عَيْنَ إِبْيَرَةٍ﴾ ٩ ﴿لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ ١٠ ﴿لَا يَسْعَنُ وَلَا يَغْنِي مِنْ حُجُوعٍ﴾ ١١ ﴿يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ١٢ ﴿لَسْعَقِهَا رَاضِيَةٌ﴾ ١٣ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ﴾ ١٤ ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغْيَةً﴾ ١٥ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَّةٌ﴾ ١٦

(١) في (ب): «معنى».

(٢) في (ب): «سوى النبي».

(٣) في (ب): «تم تفسير سورة سبع وله الحمد».

(٤) في (أ): إلى قوله: «وزرابي مثبتة». وفي (ب): ذكر الآيات.

فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعٌ ﴿١٣﴾ وَكَوَافِئٌ مَّوْضُوعٌ ﴿١٤﴾ وَمَنَارٌ مَّصْفُوفٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابٌ مَّبْثُوتٌ ﴿١٦﴾ .

﴿١﴾ يذكر تعالى أحوال يوم القيمة وما فيها من الأحوال الطامة، وأنها تخشى الخلائق بشدائدها، فيجازون ب أعمالهم، ويتميزون إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير. فأخبر عن وصف كلا الفريقين:

﴿٢ - ٧﴾ فقال في وصف أهل النار: «وجوه يومئذ»؛ أي: يوم القيمة، «خاسعة»؛ من الذل والفضيحة والخزي، «عاملة ناصبة»؛ أي: تابعة في العذاب، تجر على وجهها، «وتغشى وجوههم النار»؛ ويحتمل أن المراد بقوله: «وجوه يومئذ خاسعة». عاملة ناصبة؛ في الدنيا لكونهم في الدنيا أهل عادات وعمل، ولκκئه لما عدم شرطه، وهو الإيمان؛ صار يوم القيمة هباءً مشوراً.

وهذا الاحتمال وإن كان صحيحاً من حيث المعنى؛ فلا يدل عليه سياق الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول؛ لأنَّه قيده بالظرف، وهو يوم القيمة، وأنَّ المقصود هنا بيان ذكر^(١) أهل النار عموماً، وذلك الاحتمال جزءٌ قليلٌ بالنسبة إلى أهل النار^(٢)، ولأنَّ الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية؛ فليس فيه تعرُض لأحوالهم في الدنيا.

وقوله: «تَضَلُّ نَارًا حَامِيَةً»؛ أي: شديداً حرها تحيط بهم من كل مكان، «تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آثِيَةٍ»؛ أي: شديدة الحرارة^(٣)، «وَإِنْ يَسْتَغْيِثُوا يُغَاثُوا بِمَاءِ كَالْمَهْلِ يَشْوِي الْوِجْهَ»؛ فهذا شرابهم، وأما طعامهم؛ فليس لهم طعام إلا من ضريع. لا يُسْمِنُ ولا يُغْنِي من جوع^(٤)؛ وذلك لأنَّ المقصود من الطعام أحد أمرتين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه، وإما أن يُسْمِنَ بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيءٌ من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية العرارة والتَّنَّ والخشة، نسأل الله العافية.

﴿٨ - ١٦﴾ وأما أهل الخير؛ فوجوههم يوم القيمة «ناعمة»؛ أي: قد جرت عليهم نَضْرَةُ النَّعِيم فَنَضَرَتْ أَبْدَانَهُمْ وَاسْتَنَارتْ وَجْهَهُمْ وَسُرُورًا غَايَةُ السُّرُورِ، «لَسْعِيَهَا»؛ الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة والإحسان إلى عباد الله،

(١) في (ب): «وصف».

(٢) في (ب): «جزءٌ قليلٌ من أهل النار بالنسبة إلى أهلها».

(٣) في (ب): «حرارة شديدة».

(٤) في (ب): «أن».

﴿راضية﴾: إِذْ وَجَدَتْ ثَوَابَهُ مَدْخَرًا مَضَاعِفًا، فَحَمَدَتْ عَقْبَاهُ، وَحَصَلَ لَهَا كُلُّ مَا تَمَنَّاهُ. وَذُلُكَ أَنَّهَا «فِي جَنَّةٍ»: جَامِعَةٌ لِأَنْوَاعِ النَّعِيمِ كُلُّهَا، «عَالِيَّةٍ»: فِي مَحْلِهَا وَمَنَازِلِهَا؛ فَمَحْلُهَا فِي أَعْلَى عِلَّيْنِ، وَمَنَازِلُهَا مَسَاكِنُ عَالِيَّةٍ، لَهَا غُرْفٌ، وَمَنْ فَوْقَ الْغُرْفِ غُرْفٌ مُبْنَيَّةٌ يُشَرِّفُونَ مِنْهَا عَلَى مَا أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ. «قَطْوَفُهَا دَانِيَّةٌ﴾؛ أي: كثيرة الفواكه الـلذـيدة المـثمـرة بالـشـمار الـحـسنة السـهـلة التـناـول؛ بـحيـث يـنـالـونـها عـلـى أيـ حـالـ كـانـواـ، لاـ يـحـتـاجـونـ أـنـ يـضـعـدـواـ شـجـرـةـ أوـ يـسـتعـصـيـ عـلـيـهـمـ مـنـهـاـ ثـمـرـةـ. «لَا تـسـمـعـ فـيـهـاـ﴾؛ أي: الـجـنـةـ «لـاغـيـةـ»؛ أي: كـلـمـةـ لـغـوـ وـبـاطـلـ فـضـلـاـ عـنـ الـكـلـامـ الـمـحـرـمـ، بـلـ كـلـامـهـ كـلـمـ حـسـنـ نـافـعـ، مـشـتـمـلـ عـلـىـ ذـكـرـ اللـهـ وـذـكـرـ نـعـمـهـ الـمـتـوـاتـرـةـ عـلـيـهـمـ وـعـلـىـ الـآـدـابـ الـحـسـنـةـ^(١) بـيـنـ الـمـتـعـاـشـرـينـ الـذـيـ يـسـرـ القـلـوبـ وـيـشـرـ الـصـدـورـ. «فـيـهـاـ عـيـنـ جـارـيـةـ﴾؛ وـهـذـاـ اـسـمـ جـنـسـ؛ أي: فـيـهـاـ العـيـونـ الـجـارـيـةـ الـتـيـ يـفـجـرـونـهاـ وـيـصـرـفـونـهـاـ كـيـفـ شـائـوـرـاـ وـأـنـيـ أـرـادـوـاـ. «فـيـهـاـ سـرـ مـرـفـوعـةـ﴾؛ وـالـسـرـ جـمـعـ سـرـيرـ، وـهـيـ الـمـجـالـسـ الـمـرـفـعـةـ فـيـ ذـاتـهـاـ وـبـمـاـ عـلـيـهـاـ مـنـ الـفـرـشـ الـلـيـنـةـ الـوـطـيـنـةـ. «وـأـكـوابـ مـوـضـوـعـةـ﴾؛ أي: أـوـانـ مـمـتـلـئـةـ مـنـ أـنـوـاعـ الـأـشـرـبـ الـلـذـيـدـةـ، قـدـ وـضـعـتـ بـيـنـ أـيـديـهـمـ، وـأـعـدـتـ لـهـمـ، وـصـارـتـ تـحـتـ طـلـبـهـمـ وـاختـيـارـهـمـ، يـطـوـفـ بـهـاـ عـلـيـهـمـ الـوـلـدـانـ الـمـخـلـدـوـنـ. «وـنـمـارـقـ مـصـفـوـفـةـ﴾؛ أي: وـسـائـدـ مـنـ الـحـرـيرـ وـالـإـسـتـبـرـقـ وـغـيـرـهـمـ مـاـ لـاـ يـعـلـمـهـ إـلـاـ اللـهـ، قـدـ صـفـتـ لـلـجـلوـسـ وـالـأـنـكـاءـ عـلـيـهـاـ، وـقـدـ أـرـيـحـوـاـ عـنـ أـنـ يـضـعـوـهـاـ أـوـ يـصـفـوـهـاـ بـأـنـسـهـمـ. «وـزـرـايـيـ مـبـثـوـثـةـ﴾؛ وـالـزـرـايـيـ هـيـ الـبـسـطـ الـحـسـانـ، مـبـثـوـثـةـ؛ أي: مـمـلـوـةـ بـهـاـ مـجـالـسـهـمـ مـنـ كـلـ جـانـبـ.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(٢) ﴿W﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿W﴾ وَإِلَى الْأَعْيَالِ
كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿H﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿H﴾ فَذَكَرَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿H﴾ لَنَّتَ عَلَيْهِمْ
يُصَيَّطِرُ ﴿H﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّ وَكَفَرَ ﴿H﴾ فَيَعْذِبُهُ اللَّهُ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ ﴿H﴾ إِنَّمَا إِيَّاهُمْ ﴿H﴾ ثُمَّ
إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ ﴿H﴾.﴾

١٧ - ٢٠) يقول تعالى حثاً للذين لا يصدقون الرسول ﷺ ولغيرهم من الناس أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده. «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ»؟ أي: ألا ينظرون إلى خلقها البديع وكيف سخرها الله للعباد وذللها لمنافعهم الكثيرة

(١) في (ب): «الآداب المستحسنة».

(٢) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

التي يضطرون إليها؟^(١) «وَإِلَى الْجَبَالِ كَيْفَ نُصِّبُهُ» : بهيئة باهرة حصل بها الاستقرار للأرض^(٢) وثباتها من الاضطراب وأودع [الله] فيها من المنافع الجليلة ما أودع، «وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِّحَتْ» : أي: مدت مذًا واسعًا، وسُهُلت غاية التسهيل؛ ليستقر العباد^(٣) على ظهرها ويتمكنوا من حرثها وغرسها والبنيان فيها وسلوك طرقها^(٤).

واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها كما دل على ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة؛ كما هو مذكور معروف عند كثير من الناس^(٥)، خصوصاً في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أطاعهم الله من الأسباب المقربة للبعيد؛ فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جداً، الذي لو سطح؛ لم يبق له استدارة تذكر، وأماماً جسم الأرض الذي هو كبير جداً واسع^(٦)، فيكون كروياً مسطحاً، ولا ينافي الأمران كما يعرف ذلك أرباب الخبرة.

﴿٢١﴾ «فَذَكَرْتَ إِنَّمَا أَنْتَ مَذَكُورٌ» : أي: ذكر الناس ويعظهم وأنذرهم وبشرهم؛ فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله وتذكيرهم، ولم تُبعث عليهم مسيطرًا عليهم مسلطًا^(٧) موكلًا بأعمالهم؛ فإذا قمت بما عليك؛ فلا عليك بعد ذلك لوم؛ كقوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِجَارٍ فَذَكُرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِدَّهُ».

﴿٢٢﴾ وقوله: «إِلَّا مَنْ تَوَلَّ وَكَفَرَ» : أي: لكن من تولى عن الطاعة وكفر بالله، «فَيَعِذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ» : أي: الشديد الدائم.

﴿٢٣﴾ «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّاهُمْ» : أي: رجوع الخلائق^(٨) وجمعهم في يوم القيمة. «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ» : على ما عملوا^(٩) من خير وشر.

والحمد لله [رب العالمين].



(١) في النسختين لم يفسر قوله: «وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعْتُ».

(٢) في (ب): «حصل بها استقرار الأرض».

(٣) في (ب): «الخلائق».

(٤) في (ب): «سلوك الطرق الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها».

(٥) في (ب): «أكثر الناس».

(٦) في (ب): «الذي هو في غاية الكبر والسرعة».

(٧) في (ب): «مسطراً عليهم مسلطًا».

(٨) في (ب): «الخليقة».

(٩) في (ب): «فحاسبهم على ما عملوا».

تفسير سورة الفجر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ﴾ وَلَيَلَ عَشَرِ ﴿٧﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٨﴾ وَلَيَلِ إِذَا يَسَرَ ﴿٩﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لِّذِي
جُنَاحٍ ﴾١﴾ .

﴿١ - ٥﴾ الظاهر أن المقسم عليه هو المقسم به^(١)، وذلك جائز مستعمل إذا كان أمراً ظاهراً مهماً، وهو كذلك في هذا الموضع. فأقسام تعالى بالفجر، الذي هو آخر الليل ومقدمة النهار؛ لما في إدبار الليل وإقبال النهار من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه تعالى هو^(٢)المدبّر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة يخسّن أن يقسم الله بها، ولهذا أقسم بعده باليالي العشر، وهي على الصحيح ليالي عشر رمضان أو عشر ذي الحجة^(٣)؛ فإنها ليالٍ مشتملة على أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع بغيرها. وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها صيام آخر رمضان، الذي هو أحد أركان^(٤)الإسلام العظام. وفي أيام عشر ذي الحجة الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان؛ فإنه ما^(٥)رئي الشيطان أحقر ولا أدحر منه^(٦)في يوم عرفة^(٧)؛ لما يرى من تنزّل الأموال والرحمة من الله على عباده^(٨)، ويقع فيها كثير من أفعال الحجّ والعمرّة، وهذه أشياء معظمة مستحقة أن يقسم الله بها، «والليل إذا يسر»؛ أي:

(١) في (ب): «الظاهر أن المقسم به هو المقسم عليه».

(٢) في (ب): « وأنه وحده».

(٣) انظر «زاد المعاد» لابن القيم (٥٦/١) فقد ذكر المفاضلة فيها بين العشر من ذي الحجة والعشر الأخير من رمضان.

(٤) في (ب): «الذي هو ركن من أركان».

(٥) في (ب): «فما». (٦) في (ب): «من».

(٧) أخرجه مالك في «الموطأ» في الحج، باب: «جامع الحج»، وعنه عبد الرزاق (٨٨٣٢) مرسلاً عن عبيد الله بن كريز.

(٨) في (ب): «العبادة».

وقت سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون رحمة منه تعالى وحكمة. «هل في ذلك» : المذكور، «قسم لذى حجر» : أي : لذى عقل؟ نعم بعض ذلك يكفي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ يَعَادُ ۖ إِنَّمَا ذَاتَ الْعِمَادِ ۚ﴾ (٦) ﴿أَلَّا قَيْمَدَ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ۚ﴾ (٧) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۚ﴾ (٨) وَفَرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۚ﴾ (٩) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ۚ﴾ (١٠) فَأَكْثَرُهُمْ فِيهَا الْفَسَادَ ۚ﴾ (١١) ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۖ﴾ (١٢) إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرُ صَادِ ۚ﴾ (١٣) .﴾ (١٤)

٦ - ١٤) يقول تعالى : «ألم تر» : بقلبك وبصيرتك، «كيف فعل» : بهذه الأمم الطاغية، عاد وهي «إرم» : القبيلة المعروفة في اليمن، «ذات العِمَاد»؛ أي : القوة الشديدة والعتو والتجلبر، «التي لم يخلق مثلها في البلاد»؛ أي : في جميع البلدان في القوة والشدة؛ كما قال لهم نبيهم هود عليه السلام : «واذكروا إذ جعلتكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بنسنة فاذكروا آل الله لعلكم تفليحون». «وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ»؛ أي : وادي القرى؛ نحتوا بقوتهم الصخور فاتخذوها مساكن، «وَفَرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ»؛ أي : ذي الجنود الذي ثبتوه ملكه كما ثبت الأوتاد [و] ما يراد إمساكه بها، «الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ» : هذا الوصف عائد إلى عاد وثمود وفرعون ومن تبعهم؛ فإنهم طغوا في بلاد الله، وأذوا عباد الله في دينهم ودنياهם. ولهذا قال : «فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ» : وهو العمل بالكفر وشعبه من جميع أجناس المعاشي، وسعوا في محاربة الرسل وصد الناس عن سبيل الله، فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم؛ أرسل الله عليهم من عذابه ذُوبًا وسوطًا عذاب، «إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرُ صَادِ» : لمن يعصيه^(٣)؛ يمهله قليلاً ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

﴿فَأَمَّا إِلَيْنَاهُ إِذَا مَا أَبْنَاهُ رَبِّهِ ۚ﴾ (١٥) فَأَكْرَمَهُ وَنَعَمَ فَيَقُولُ رَبِّيْ أَكْرَمَنِ ۚ﴾ (١٦) وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْنَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّيْ أَهْنَنِ ۚ﴾ (١٧) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتَمَ ۚ﴾ (١٨) وَلَا تَحْكُمُونَ عَلَىٰ

(١) في (أ) : إلى قوله : «إن ربك لبالمرصاد». وفي (ب) ذكر الآيات.

(٢) في (ب) : «التي لم يخلق مثلها»؛ أي : مثل عاد في البلاد.

(٣) في (ب) : «المن عصاه».

(٤) في (أ) : إلى قوله : «جباً جماً». وفي (ب) ذكر الآيات.

طعَّا وَتَأْكُلُونَ الْثَرَاثَ أَكْلًا لَمَّا ١١ وَتَحْبُّونَ الْمَالَ حَبًّا جَمِّا ١٢ .

﴿٢٠﴾ يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل ظالم لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل على كرامته [عنه] وقربه منه، وأنه إذا قدر عليه رزقه؛ أي: ضيقه، فصار بقدر قوته لا يفضل عنه؛ لأن هذا إهانة من الله له، فرد الله عليه هذا الحساب، فقال: ﴿كلا﴾؛ أي: ليس كل من تعنته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدى، وإنما الغنى والفقير والسعفة والضيق ابتلاء من الله وامتحان يمتحن به العباد؛ ليرى من يقوم له بالشكرا والصبر، فيشييه على ذلك الثواب الجليل، ممن ليس كذلك، فينقله إلى العذاب والويل. وأيضاً؛ فإن وقوف همة العبد عند مراد نفسه فقط من ضعف الهمة، ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوالخلق المحتاجين، فقال: ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم﴾؛ الذي فقد أباه وكاسبه واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه؛ فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه، وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم وعدم الرغبة في الخير، ﴿وَلَا تَحْاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾؛ أي: لا يحضر بعضكم بعضاً على إطعام المحاويع من الفقراء والمساكين^(١)، وذلك لأجل الشجاع على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب. ولهذا قال: ﴿وَتَأْكُلُونَ الْثَرَاثَ﴾؛ أي: المال المخلف، ﴿أَكْلًا لَمَّا﴾؛ أي: ذريعاً، لا تبكون على شيء منه، ﴿وَتَحْبُّونَ الْمَالَ حَبًّا جَمِّا﴾؛ أي: شديداً^(٢)، وهذا كقوله: ﴿بَلْ تَؤْثُرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، ﴿كَلَّا بَلْ تَحْبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَنْدَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.

﴿كَلَّا إِذَا دَكَّتِ الْأَرْضُ دَكَّا دَكَّا ٢٣ وَجَاءَ رَبِّكَ وَالْمَلَكُ صَنَّا صَنَّا ٢٤ وَجَاءَهُ يَوْمَئِنَ ٢٥

يَوْمَئِنَ يَوْمَئِنْ يَذَكِّرُ الْإِنْسَنُ وَأَنَّ لَهُ الْذِكْرَ ٢٦ يَقُولُ يَلَيْتَنِي فَدَمْتُ لِيَقَنِي ٢٧ فَيَوْمَئِنَ لَا يُعْذَبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ٢٨ وَلَا يُؤْتَقُ وَاقِفَهُ أَحَدٌ ٢٩ يَكَانِهَا النَّفْسُ الطَّعَمِيَّةُ ٣٠ أَرْجِعِي إِنْ رَبِّكَ ٣١ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ٣٢ فَادْخُلِي فِي عَبْدِي ٣٣ وَادْخُلِي جَنَّتي ٣٤ .﴾

(١) في (ب): «من المساكين والفقراء».

(٢) في (ب): «أي: كثيراً شديداً».

) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

﴿٢٤﴾ ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس كلُّ ما أحببتم من الأموال وتنافستُم فيه من اللذات بباقي لكم، بل أمامكم يوم عظيم وهو جسمٌ تُدْكُ في الأرض والجبال وما عليها حتى تُجعل قاعاً صفصفاً لا عوج فيه ولا أمتا، ويجيء الله لفصل القضاء بين عباده في ظليل من الغمام، ويجيء الملائكة الكرام أهل السماوات كُلُّهم^(١) ﴿صَفَا صَفَا﴾؛ أي: صفاً بعد صفاً، كلُّ سماء يجيء ملائكتها صفاً، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوفٌ خصوصٌ وذُلُّ للملك الجبار، ﴿وَجِيءُ يوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾؛ تقوُّدها^(٢) الملائكة بالسلسل؛ فإذا وقعت هذه الأمور؛ فـ﴿يَوْمَئِذٍ يُتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾؛ ما قدمه من خير وشر، ﴿وَأَتَى لِهِ الذِّكْرُ﴾؛ فقد فات أوائلها وذهب زمانها، ﴿يَقُولُ﴾؛ متحسراً على ما فرط في جنب الله: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاةِي﴾؛ الباقية الدائمة^(٣) عملاً صالحاً؛ كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّحَدَتْ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّحَدْ فَلَمَّا خَلِيلًا﴾، وفي هذا^(٤) دليل على أنَّ الحياة التي ينبغي السعي في كمالها وتحصيلها وكمالها^(٥) وفي تتميم لذاتها هي الحياة في دار القرار؛ فإنَّها دارُ الْخُلُدِ والبقاء.

﴿٢٥﴾ ﴿فِيَوْمِئِذٍ لَا يَعْذِبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾؛ لمن أهمل ذلك اليوم ونسى العمل له، ﴿وَلَا يُوَثِّقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾؛ فإنَّهم يقرنون بسلسل من نار، ويسخجون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يُسْجَرون؛ فهذا جزاء المجرمين.

﴿٢٧﴾ وأمَّا من آمن بالله واطمأنَّ به^(٦) وصدق رسله؛ فيقال له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ﴾؛ إلى ذِكر الله، الساكنة إلى حبه^(٧)، التي قرَّتْ عينها بالله، ﴿أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ﴾؛ الذي ربِّكَ بنعمته، [وأسدى عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه وأحبابه] ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾؛ أي: راضية عن الله وعن ما أكرمهها به من الشواب، والله قد رضي عنها، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾؛ وهذا تخاطبُ به الروح يوم القيمة، وتخاطبُ به وقت السياق والموت^(٨).

والحمد لله رب العالمين.

(١) في (ب): «كُلُّها».

(٢) في (ب): «يُقْوَدُهَا».

(٣) في (ب): «الدائمة الباقية».

(٤) في (ب): «وفي الآية».

(٥) في (ب): «التي ينبغي السعي في أصلها وكمالها».

(٦) في (ب): «وأمَّا من اطمأنَ إلى الله وآمنَ به».

(٧) في (ب): «الْجَنَّةُ».

(٨) في (ب): «وقت الْمَوْتِ».

تفسير سورة لا أقسم

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾١١١ وَأَنَّ حِلًّا بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾١١٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾١١٣ لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا فِي كَبَدٍ ﴾١١٤ أَيَحْسَبُ أَنَّ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾١١٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَأُبُدَّاً ﴾١١٦ أَيَحْسَبُ أَنَّ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾١١٧ أَلَّا تَعْمَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾١١٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾١١٩ وَعَدَتْنَاهُ الْجَدِيدَيْنِ ﴾١١١٠ فَلَا أَقْنَحَمُ الْعَقَبَةَ ﴾١١١١ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾١١١٢ فَكُّ رَبَّةٌ ﴾١١١٣ أَوْ إِطْعَمَهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ ﴾١١١٤ يَسِّئَا ذَا مَقْرَبَةِ ﴾١١١٥ أَوْ مَسِكِينًا ذَا مَنْتَبَقُ ﴾١١١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ الظَّيْنِ مَاءَنُوا وَقَاصُوا بِالصَّبَرِ وَتَوَاصُوا بِالمرْحَمَةِ ﴾١١١٧ أَرْلَيْكَ أَخْبَثَ أَيْمَنَتَهُ ﴾١١١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيُنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَسْئَةِ ﴾١١١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾١١٢٠﴾.

﴿٣ - ٤﴾ يقسم تعالى «بهذا البلد» الأمين، وهو^(٢) مكّة المكرمة، أفضل البلدان على الإطلاق، خصوصاً وقت حلول الرسول ﷺ فيها، «والله وما ولد»؛ أي: آدم وذرّيته.

﴿٤ - ٧﴾ والمقسّم عليه قوله: «لقد خلقنا الإنسان في كبد»؛ يتحتم أن المراد بذلك ما يكابده ويقاربـه من الشـدائـد في الدـنيـا وفي البرـزـخ يوم يـقوم الأـشـهـادـ، وأنـه يـنـبغـي لهـ أنـ يـسـعـى فيـ عـمـلـ يـرـيـحـهـ منـ هـذـهـ الشـدائـدـ وـيـوـجـبـ لـهـ الفـرـحـ والـسـرـورـ الدـائـمـ، وإنـ لمـ يـفـعـلـ؛ فإـنـهـ لـاـ يـزالـ يـكـابـدـ العـذـابـ الشـدـيدـ أـبـدـ الـآـبـادـ، وـيـحـتـمـلـ أـنـ المعـنىـ لـقـدـ خـلـقـنـاـ إـلـاـنـسـانـ فـيـ أـحـسـنـ تـقـوـيـمـ وـأـقـومـ خـلـقـةـ يـقـدـرـ^(٣) عـلـىـ التـصـرـفـ وـالـأـعـمـالـ الشـدـيـدـةـ وـمـعـ ذـلـكـ فـإـنـهـ لـمـ يـشـكـرـ اللـهـ عـلـىـ هـذـهـ النـعـمـةـ العـظـيـمـةـ، بلـ بـطـرـ بالـعـافـيـةـ، وـتـجـبـرـ عـلـىـ خـالـقـهـ، فـأـيـسـبـ بـجـهـلـهـ وـظـلـمـهـ أـنـ هـذـهـ الـحـالـ سـتـدـوـمـ لـهـ، وـأـنـ سـلـطـانـ تـصـرـفـهـ لـاـ يـنـزعـلـ، وـلـهـذـاـ قـالـ [تعـالـىـ]: «أـيـسـبـ أـنـ لـنـ يـقـدـرـ عـلـيـهـ أـحـدـ»؛ وـيـطـغـيـ وـيـفـتـخـرـ بـمـاـ أـنـفـقـ مـعـ الـأـمـوـالـ عـلـىـ شـهـوـاتـ نـفـسـهـ؛ فـيـقـولـ «أـهـلـكـ مـالـ لـبـدـاـ»؛ أيـ: كـثـيرـاـ بـعـضـهـ فـوـقـ بـعـضـ. وـسـمـيـ اللـهـ [تعـالـىـ] الـإـنـفـاقـ فـيـ الشـهـوـاتـ وـالـمـعـاـصـيـ إـهـلـاـكـ؛ لـأـنـهـ لـاـ يـنـتـفـعـ الـمـنـفـقـ بـمـاـ أـنـفـقـ، وـلـاـ يـعـودـ إـلـيـهـ^(٤) مـنـ إـنـفـاقـهـ إـلـاـ

(١) في (أ): طمس. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

(٢) في (ب): «الذي هو».

(٣) في (ب): «مقدرا».

(٤) في (ب): «عليه».

اللَّدُمُ وَالخَسَارُ وَالتَّعْبُ وَالقَلَةُ، لَا كَمِنْ أَنْفَقَ فِي مَرْضَاهُ اللَّهُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ؛ فَإِنَّهُذَا قَدْ تَاجَرَ مَعَ اللَّهِ وَرَبِحَ أَصْعَافَ أَصْعَافَ مَا أَنْفَقَ، قَالَ اللَّهُ^(١) مَتَوَعِّدًا هَذَا الَّذِي افْتَخَرَ بِمَا أَنْفَقَ فِي الشَّهَوَاتِ: «أَيْحَسِبُ أَنَّ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ»؛ أَيْ: أَيْظَنْ^(٢) فِي فَعْلِهِ هَذَا أَنَّ اللَّهَ لَا يَرَاهُ وَيَحْسَبُهُ عَلَى الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ؟! بَلْ قَدْ رَأَاهُ اللَّهُ وَحْفَظَ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ وَوَكَلَ بِهِ الْكَرَامَ الْكَاتِبِينَ لِكُلِّ مَا عَمِلَهُ^(٣) مِنْ خَيْرٍ وَشَرًّا.

٨ - ١٠﴿ ثُمَّ قَرَرَهُ بِنَعْمَهُ، فَقَالَ: «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ»؛ للجمال والبصر واللُّطُقِ وَغَيْرُ ذَلِكِ مِنَ الْمَنَافِعِ الضرُورِيَّةِ فِيهَا؛ فَهُذَا نَعْمَ الدِّينِ. ثُمَّ قَالَ فِي نَعْمَ الدِّينِ: «وَهَدَيْنَا نَاهَيْنَا التَّجَدَّدَيْنِ»؛ أَيْ: طَرِيقِيُّ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ بَيَّنَا لَهُ الْهَدِيَّ مِنَ الْضَّلَالِ، وَرَأْشُدَ مِنَ الْغَيِّ. فَهُذَا الْمَنْزِلَةُ تَقْتَضِي مِنَ الْعَبْدِ أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ الْلَّهِ وَيُشَكِّرَهُ^(٤) عَلَى نَعْمَهُ، وَأَنْ لَا يَسْتَعِنَ بِهَا عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ^(٥).

١١﴿ وَلَكِنْ هَذَا إِنْسَانٌ لَمْ يَفْعُلْ ذَلِكَ؛ «فَلَا افْتَحْمِ الْعَقَبَةَ»؛ أَيْ: لَمْ يَقْتَحِمْهَا وَيَعْبُزْ عَلَيْهَا؛ لَأَنَّهُ مَتَّبِعٌ لَهَوَاهُ^(٦)، وَهَذِهِ الْعَقَبَةُ شَدِيدَةٌ عَلَيْهِ.

١٢ - ١٦﴿ ثُمَّ فَسَرَ هَذِهِ الْعَقَبَةُ بِقَوْلِهِ: «فَكُوكَ رَقَبَةَ»؛ أَيْ: فَكُوكَهَا مِنَ الرَّقِّ بَعْتَقَهَا أَوْ مَسَاعِدَهَا عَلَى أَدَاءِ كَتَابَتِهَا، وَمِنْ بَابِ أُولَى فَكَاكِ الْأَسِيرِ الْمُسْلِمِ عِنْدِ الْكُفَّارِ، «أَوْ إِطْعَامُ فِي يَوْمِ ذِي مَسْعَبَةِ»؛ أَيْ: مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ؛ بَأْنَ يَطْعَمُ وَقْتَ الْحَاجَةِ أَشَدَّ النَّاسَ حَاجَةً، «بَيْتِيْمَا ذَا مَقْرَبَةَ»؛ أَيْ: جَامِعًا بَيْنَ كُونِهِ بَيْتِيْمًا وَفَقِيرًا ذَا قَرَابَةَ، «أَوْ مَسْكِيْنَا ذَا مَتَّرِبَةَ»؛ أَيْ: قَدْ لَرَقَ بِالْتَّرَابِ مِنَ الْحَاجَةِ وَالْمُضْرُورَةِ.

١٧﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا»؛ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ^(٧)؛ أَيْ: آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ بِمَا يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجُوارِهِمْ، فَدَخَلَ فِي هَذَا كُلَّ^(٨) قَوْلِ وَفَعْلِ وَاجِبٍ أَوْ مُسْتَحِبٍ، «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبِرَةِ»؛ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ وَعَلَى أَقْدَارِهِ^(٩) الْمُؤْلَمَةِ؛ بَأْنَ يَحْتَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا عَلَى الْانْقِيَادِ لِلَّذِكَرِ وَالْإِتَّبَاعِ بِهِ كَامِلًا مُنْشَرِحًا بِهِ الصَّدَرُ مُطْمَئِنًّا بِهِ النَّفْسِ، «وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ»؛ لِلْخُلُقِ؛ مِنْ إِعْطَاءِ مَحْتَاجِهِمْ، وَتَعْلِيمِ جَاهِلِهِمْ، وَالْقِيَامِ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْوِجْهِ،

(٢) في (ب): «أَيْحَسِبُ».

(١) في (ب): «قَالَ تَعَالَى».

(٤) في (ب): «وَيُشَكِّرُ اللَّهَ».

(٣) في (ب): «مَا عَمِلَ».

(٦) في (ب): «لِلشَّهَوَاتِ».

(٥) في (ب): «مَعَاصِي».

(٧) كَذَا فِي النَّسْخَتَيْنِ. ذَكَرَ الشَّيْخُ الْأَيَّاهُ: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ».

(٩) في (ب): «مَعْصِيَةُ اللَّهِ وَعَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ».

(٨) في (ب): «مِنْ كُلِّ».

(١٧) في (ب): «أَيْظَنْ».

ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

﴿١٨﴾ ﴿أولئك﴾ : الذين قاموا بهذه الأوصاف، الذين وففهم الله لاقتحام [هذه] العقبة، ﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾ : لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها.

﴿١٩ - ٢٠﴾ ﴿والذين كفروا بآياتنا﴾ : بأن نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم فلم يصدقوا بالله ولا آمنوا به ولا عملوا صالحاً ولا رحموا عباد الله. أولئك ﴿ أصحاب المشامة﴾ . عليهم ناز مؤصلة﴿؟﴾ أي: مغلقة، في عمدة ممددة، قد مدّت من ورائها؛ لئلا تفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وشدة.

والحمد لله.



تفسير الشمس وضاحاها

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضَنْهَا﴾^(١) ﴿وَالقَمَرِ إِذَا نَلَهَا﴾ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَهَا﴾ ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشِنَهَا﴾
 ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَهَا﴾ ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَنَهَا﴾ ﴿وَنَسَى وَمَا سَوَّنَهَا﴾^(٢) ﴿فَأَمْمَهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَهَا﴾
 قَدْ أَلْقَاهُ مَنْ زَكَّهَا^(٣) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا^(٤) كَذَبَتْ ثَوْدٌ بِطَغْوَتِهَا^(٥) إِذْ أَبْعَثَ أَشْقَاهَا^(٦)
 فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَافِعَةُ اللَّهِ وَسُقِينَهَا^(٧) فَكَذَبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمِدَمَ عَلَيْهِمْ رَبِيعُهُ
 يَدَنِيهِمْ فَسَوَّنَهَا^(٨) وَلَا يَنْفَعُ عَقْبَهَا^(٩)﴾.

﴿١ - ٦﴾ أقسم تعالى بهذه الآيات العظيمة على النفس المفلحة وغيرها من النفوس الفاجرة، فقال: ﴿والشمس وضاحاها﴾؛ أي: نورها ونفعها الصادر منها، ﴿والقمر إذا تلاها﴾؛ أي: تبعها في المنازل والنور، ﴿والنهار إذا جلاها﴾؛ أي: جلى ما على وجه الأرض وأوضحه، ﴿والليل إذا يغشاها﴾؛ أي: يغشى وجه الأرض، فيكون ما عليها مظلماً؛ فتعاقب الظلمة والضياء والشمس والقمر على هذا

(١) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

العالم بانتظام وإنقاذ وقيام^(١) لمصالح العباد أكبر دليل على أن الله بكل شيء عليه وعلى كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده، الذي كل معبود سواه باطل^(٢)، **﴿وَالسَّمَاوَاتِ وَمَا بَنَاهَا﴾**: يحتمل أن **﴿مَا﴾** موصولة، فيكون الإقسام بالسماء وبيانها، وهو الله تعالى^(٣)، ويحتمل أنها مصدرية، فيكون الإقسام بالسماء وبينانها الذي هو غاية ما يقدر من الأحكام والإتقان والإحسان. ونحو هذا^(٤) قوله: **﴿وَالأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا﴾**; أي: مدها ووسعها، فتمكّن الخلق حينئذ من الارتفاع بها بجميع أوجه^(٥) الارتفاع.

٧ - ٨﴾ **﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا﴾**: يحتمل أن المراد: ونفس سائر المخلوقات الحيوانية؛ كما يؤيد هذا^(٦) العموم، ويحتمل أن الإقسام^(٧) بنفس الإنسان المكلّف؛ بدليل ما يأتي بعده. وعلى كل؛ فالنفس آية كبيرة من آياته التي يحثّ الإقسام بها^(٨)؛ فإنّها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغيير والتأثير والانفعالات النفسية من الهم والإرادة والقصد والحب والبغض، وهي التي لولاها؛ لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على ما هي عليه^(٩) آية من آيات الله العظيمة.

٩ - ١٠﴾ **﴿وَقُولُهُ: قَدْ أَفْلَحَ مِنْ زَكَاهَا﴾**; أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقّاها من العيوب، ورقّاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح، **﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَاهَا﴾**; أي: أخفي نفسه الكريمة التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها بالتدليس بالرذائل والذنوب من العيوب والذنوب^(١٠)، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها.

١١ - ١٥﴾ **﴿كَذَّبُتْ ثُمَودَ بَطَغُوا هَا﴾**; أي: بسبب طغيانها وترفعها عن الحقّ وعتوها على رسولهم^(١١)، **﴿إِذَا نَبَغَتْ أَشْقَاهَا﴾**; أي: أشقي القبيلة^(١٢)، وهو قدار بن سالف؛ لعقرها؛ حين اتفقوا على ذلك وأمروه فائتمر لهم، **﴿فَقَالَ لَهُمْ**

(١) في (ب): «وانتظام».

(٢) في (ب): «فباطل».

(٣) في (ب): «الذي هو الله تبارك وتعالى».

(٤) في (ب): «ونحو ذلك».

(٥) في (ب): «وجوه».

(٦) في (ب): «التي حقيقة بالإقسام».

(٧) في (ب): «على هذا الوجه».

(٨) في (ب): «التي حقيقة بالإقسام بها».

(٩) في (ب): «على هذا الوجه».

(١٠) انظر البخاري (٣٣٧٧)، ومسلم (٢٨٥٥).

(١١) في (ب): «على رسول الله».

رسول الله ﷺ: صالح عليه السلام محذراً: «ناقة الله وسفياها»؛ أي: احذروا عقر ناقة الله التي جعلها لكم آية عظيمة، ولا تقابلوا نعمة الله عليكم ب斯基 لبنتها أن تعقروها، فكذبوا نبيهم صالحًا، «فعقروها فدمدم عليهم رئهم بذنبهم»؛ أي: دمر عليهم، وعمّهم بعقابه، وأرسل عليهم الصيحة من فوقهم والرجفة من تحتهم، فأصبحوا جاثمين على ركبهم، لا تجد منهم داعياً ولا مجيباً، «فسواها»؛ عليهم؛ أي: سُوئَ بينهم في العقوبة^(١)، «ولا يخاف عقباها»؛ أي: تبعتها. وكيف يخاف من هو قاهر لا يخرج عن قهره وتصرُّفه مخلوقٌ. الحكيم في كلّ ما قضاه وشرعه.

[تمَّتْ وَلَهُ الْحَمْدُ].



تفسير سورة الليل

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشَى ١﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلى ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرُ وَالأنثى ٣ إِنَّ سَعْيَهُمْ لَشَرٍّ ٤ فَإِنَّمَا مِنْ أَعْطَنِي وَلَقَنِي ٥ وَصَدَقَ إِلَّا لِحَسْنَى ٦ فَسَيَسْرُهُ الْبَرَزَانُ ٧ وَإِنَّمَا مِنْ يَخْلُقُ وَأَسْتَغْنُ ٨ وَكَذَّبَ يَأْتِيَنِي ٩ فَسَيَنْهَا إِلَّا لِمُسْكِنٍ ١٠ وَمَا يَعْنِي عَنْهُ مَا لَهُ إِذَا تَرَكَ ١١ إِنَّ عَيْنَاهُ لَهُدَىٰ ١٢ وَإِنَّ لَهُ لِآخِرَةٍ وَالْأُولَى ١٣ فَانْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلَظَّى ١٤ لَا يَصْلَهَا إِلَّا الْأَشْفَى ١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّ ١٦ وَسِيَجَنَّهَا الْأَنْثَى ١٧ الَّذِي يَتَوَقَّى مَا لَهُ يَتَرَكَ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ يَعْمَلُ شَرًّا ١٩ إِلَّا أَتَنْهَمَ ٢٠ وَيَمْرِدُ رَءُوفٌ الْأَهْلَنَ ٢١ وَلَسَوْفَ يَرْغَنَ ٢٢﴾.

﴿١ - ٢﴾ هذا قسمٌ من الله بالزمان الذي تقع فيه أفعال العباد على تفاوت أحوالهم، فقال: «والليل إذا يغشى»؛ أي: يعمُّ الخلق بظلماته، فيسكنُ كلُّ إلى مأواه ومسكنه، ويستريحُ العباد من الكدُّ والتعب، «والنهار إذا تجلَّ»؛ للخلق، فاستضاؤوا بنوره، وانتشروا في مصالحهم.

﴿٣﴾ «وما خلق الذكر والأثني»؛ إن كانت «ما» موصولة؛ كان إقساماً بنفسه

(١) في (ب): «بالعقوبة».

(٢) في (أ) إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

الكريمة الموصوفة بكونه^(١) خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية؛ كان قسماً بخلقه للذكر والأنثى، وكمال حكمته في ذلك؛ أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي يريد إبقاءها ذكراً وأنثى؛ ليقي النوع ولا يضمحل، وقد كلاً منها إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلاً منها مناسباً للآخر؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

﴿٤﴾ قوله: «إِنَّ سَعِينَكُمْ لِشَئِيْهِ»: هذا هو المقسم عليه؛ أي: إن سعيكم أيها المكلّفون لم تفاوتْ تفاوتاً كثيراً، وذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال؛ هل هو وجه الله الأعلى الباقى، فيبقى العمل^(٢) له ببقائه، وينتفع به صاحبه؟ أم هي غاية مضمحة فانية؟ فيبطل السعي ببطلانها ويضمحل باضمحلالها؟ وهذا كل عمل يقصد به غير وجه الله [تعالى] بهذا الوصف.

﴿٥ - ٧﴾ ولهذا فضل الله العاملين ووصف أعمالهم، فقال: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى»^(٣)؛ أي: ما أمر به من العبادات المالية كالرّكوات والنفقات والكافارات والصدقات والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية كالصلة والصوم وغيرهما^(٤)، والمركبة من ذلك^(٥) كالحج والعمرة ونحوهما، «وَاتَّقَى»^(٦): ما نهى عنه من المحرمات والمعاصي على اختلاف أجناسها، «وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى»؛ أي: صدق بلا إله إلا الله، وما دلت عليه من [جميع] العقائد الدينية وما ترتب عليها من الجزاء [الأخروي]، «فَسَيِّسِرْهُ لِلْيُسْرَى»؛ أي: نيسّر له أمره ونجعله مسهلاً عليه^(٦) كل خير، ميسراً له ترك كل شر؛ لأنّه أتى بأسباب التيسير، فيسّر الله له ذلك.

﴿٨ - ١٠﴾ «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَّ»^(٧): بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب والمستحب، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله، «وَاسْتَغْنَى»^(٨): عن الله، فترك عبوديته جانباً، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجاة لها ولا فوز ولا فلاح إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها الذي تقصده وتتوجه إليه، «وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى»؛

(١) في (ب): «بأنه».

(٢) في (ب): «السعى».

(٣) في (ب): «والكافارات والنفقات».

(٤) في (ب): «ونحوهما».

(٥) في (ب): «والمركبة منها».

(٦) في (ب): «أي: نسهل عليه أمره ونجعله ميسراً له».

أي: بما أوجب الله على العباد التصديق به من العقائد الحسنة، **﴿فَسَيِّسْرَةُ للْعَنْسَرِ﴾**؛ أي: للحالة العسرة والخصال الدُّمِيَّة؛ بأن يكون ميسراً للشُّرُّ أينما كان ومقيضاً له أفعال المعاichi. نسأل الله العافية.

﴿١١﴾ **﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَا لَهُ﴾**: الذي أطغاه واستغنى به وبخل به إذا هلك ومات؛ فإنه لا يصحب الإنسان^(١) إلَّا عمله الصالح. وأمّا ماله الذي لم يخرج منه الواجب؛ فإنه يكون وبالاً عليه؛ إذ لم يقدم منه لآخرته شيئاً.

﴿١٢﴾ **﴿إِنَّ عَلِيْنَا لِلْهُدَى﴾**؛ أي: إنَّ الهدى المستقيم طريقه يوصل إلى الله ويدني من رضاه، وأمّا الضلال؛ فطرقه مسدودة عن الله، لا توصل صاحبها إلَّا للعذاب الشديد.

﴿١٣﴾ **﴿وَإِنَّ لَنَا لِلآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾**: ملكاً وتصرفاً، ليس له فيهما مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطلب، ولينقطع رجاؤهم عن المخلوقين.

﴿١٤ - ١٦﴾ **﴿فَأَنذِرْتُكُمْ نَاراً تُلْظَى﴾**؛ أي: تستعر وتتوقد، **﴿لَا يَضْلِهَا إِلَّا الأَشْقَى. الَّذِي كَذَّب﴾**: بالخبر، **﴿وَتُولَى﴾**: عن الأمر.

﴿١٧ - ٢١﴾ **﴿وَسِيِّنْجَبُهَا الْأَنْقَى. الَّذِي يَؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾**: بأن يكون قصده به تزكية نفسه وتطهيرها من الذنوب والأدناس^(٢)، فاصداً به وجه الله تعالى. فدللَ هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب كدين ونفقة ونحوهما؛ فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثيرٍ من العلماء؛ لأنَّه لا يتزكى بفعل مستحب يفوَّث عليه الواجب، **﴿وَمَا لَأَحَدٍ عِنْهُ نِعْمَةٌ تُجْزَى﴾**؛ أي: ليس لأحدٍ من الخلق على هذا الأنقى نعمةٌ تُجْزَى؛ إلَّا وقد كفأه عليها^(٣)، وربما بقي له الفضل والمئنة على الناس، فتمحض عبداً لله؛ لأنَّه رقيق إحسانه وحده، وأمّا من بقيت^(٤) عليه نعمة الناس فلم يجزِّها ويكافئها؛ فإنه لا بدَّ أن يترك للناس ويفعل لهم ما ينقص إخلاصه.

وهذه الآية وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل قد قيل: إنها نزلت بسببه^(٥)؛ فإنه رضي الله عنه ما لأحدٍ عنده من نعمةٌ تُجْزَى، حتى ولا رسول

(١) في (ب): «فإنَّه لا يصحبها».

(٢) في (ب): «بها».

(٣) في (ب): «بقي».

(٤) في (ب): «في سببه».

(٥) في (ب): «والعيوب».

الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ إِلَّا نعمة الرسول، التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلى دين الإسلام وتعليم الهدى ودين الحق؛ فإن لله ورسوله المئة على كل أحد، منه لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة؛ فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، . فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تُجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى، ولهذا قال: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾؛ هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوابات.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

تفسير سورة والضحى

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضَّحْنَ ﴿١﴾ وَأَيَّلَ إِذَا سَجَنَ ﴿٢﴾ مَا وَدَعَكَ رَبِّكَ وَمَا قَلَ ﴿٣﴾ وَلِلآخرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبِّكَ فَتَرَضَى ﴿٥﴾ أَنَّمَ يَمْدُكَ بِتِيمَانَ فَعَوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ صَالِ فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَلَيْلًا فَأَفَغَنَ ﴿٨﴾ فَمَا آتَيْتَهُ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا يَنْعِمَةُ رَبِّكَ فَهَدَى ﴿١١﴾﴾.

﴿١ - ٣﴾ أقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه؛ بالضحى، وبالليل ﴿إذا سجن﴾ وادلهمت ظلمته؛ على اعتناء الله برسوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فقال: ﴿ما وَدَعَكَ رَبِّك﴾؛ أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك، بل لم يزل يربيك أكمل (٢) تربية ويعليك درجة بعد درجة، ﴿وَمَا﴾؛ قالك الله؛ أي: ما أبغضك منذ أحبنك؛ فإن نفي الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحسن لا يكون مدحًا إلًا إذا تضمن ثبوت كمال. فهذه حال الرسول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها وترقيتها في درجات (٣) الكمال ودوام اعتناء الله به.

﴿٤﴾ وأمّا حاله المستقبلة؛ فقال: ﴿وَلِلآخرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾؛ أي: كل

(١) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

(٢) في (ب): «أحسن». (٣) في (ب): «درج».

حالة متأخرة من أحوالك؛ فإن لها الفضل على الحالة السابقة، فلم يزل يصعد في درجات^(١) المعالي، ويمكّن الله له^(٢) دينه، وينصره على أعدائه، ويستدده^(٣) في أحواله، حتى مات وقد وصل إلى حال ما^(٤) وصل إليها الأولون والآخرون؛ من الفضائل والنعم وقرأ العين وسرور القلب.

﴿٥﴾ ثم بعد هذا لا تسأل عن حاله في الآخرة من تفاصيل الإكرام وأنواع الإنعام، ولهذا قال: «ولسوف يعطيك ربك فترضي»؛ وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه إلا بهذه العبارة الجامحة الشاملة.

﴿٦ - ٨﴾ ثم امتن عليه بما يعلمه من أحواله الخاصة^(٥)، فقال: «ألم يجعلك يتيمًا فاوى»؛ أي: وجده لا أم لك ولا أب، بل قد مات أبوه وأمه وهو لا يدبر نفسه، فاواه الله، وكفله جده عبد المطلب، ثم لما مات جده؛ كفله الله عمه أبا طالب، حتى أيده [الله] بنصره وبالمؤمنين، «ووجدك ضالاً فهدى»؛ أي: وجده لا تدرى ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووقفتك لأحسن الأعمال والأخلاق. «ووجدك عائلاً»؛ أي: فقيراً، فأغناك الله بما فتح^(٦) عليك من البلدان، التي جبيت لك أموالها وخرجها، فالذي أزال عنك هذه النقائص سيزيل عنك كل نقص، والذي أوصلك إلى الغنى وأواك ونصرك وهداك، قابل نعمته بالشكران.

﴿٩ - ١١﴾ ولهذا قال: «فاماً اليتيم فلا تقهر»؛ أي: لا تُسيء معاملة اليتيم، ولا يُضيق صدرُك عليه، ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسّر، واصنع به كما تحب أن يُضيق بولدك من بعده، «واماً السائل فلا تنهر»؛ أي: لا يصدر منك كلام للسائل^(٧) يقتضي رده عن مطلوبه بتهري وشراسة خلق، بل أعطه ما تيسّر عندك، أو رده بمعروف وإحسان. ويدخل في هذا^(٨) السائل للمال والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأموراً بحسن الخلق مع المتعلم و مباشرته بالإكرام والتحنّن عليه؛ فإن في ذلك معونة له على مقصدِه وإكراماً لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد،

(٢) في (ب): «ويتمكن له الله».

(١) في (ب): «درج».

(٤) في (ب): «لا».

(٣) في (ب): «ويستدده».

(٦) في (ب): «فأغنى بما فتح الله».

(٥) في (ب): «من الأحوال».

(٨) في (ب): «وهذا يدخل فيه».

(٧) في (ب): «إلى السائل كلام».

﴿وَأَنَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَثُ﴾ : وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية^(١)؛ أي: أثنت على الله بها، وخصوصها^(٢) بالذكر إن كان هناك مصلحة، وإنما؛ فحدث بنعم الله على الإطلاق؛ فإن التحدث بنعم الله داع لشكرها وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها؛ فإن القلوب مجبوة على محبة المحسن.



تفسير سورة ألم نشرح لك صدرك وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَرْ نَشَّخَ لَكَ صَدَرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعَنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّتِي أَنْقَضَ ظَهِيرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْقُسْطِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ السُّرِّ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَلَمَّا فَرَغْتَ فَأَنْصَبْتَ ﴿٧﴾ فَلَلَّا رَبِّكَ فَازْغَبْ ﴿٨﴾﴾.

٤ - ٤) يقول تعالى ممثناً على رسوله: «ألم نشرح لك صدرك»؛ أي: نوسّعه لشرائع الدين والدعوة إلى الله والاتصال بمكارم الأخلاق والإقبال على الآخرة وتسهيل الخبرات، فلم يكن ضيقاً حرجاً لا يقاد بیناد لخير ولا تقاد بجهد منبسطاً، «ووضعنا عنك وزرك»؛ أي: ذنبك، «الذي أنقض»؛ أي: أثقل «ظهرك»؛ كما قال تعالى: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر»، «ورفعنا لك ذكرك»؛ أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالى، الذي لم يصل إليه أحدٌ من الخلق؛ فلا يذكر الله؛ إلا ذكر معه رسوله ﷺ؛ كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب^(٤)... وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ، وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالى؛ فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

(١) في (ب): «﴿وَأَنَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ الدينية والدنوية «فحدث»).

(٢) في (ب): «وخصوصها».

(٣) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

(٤) في (ب): «والخطبة».

﴿٥ - ٦﴾ قوله: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا». إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا: بشارَةٌ عظيمةٌ أَنَّهُ كُلُّمَا وُجِدَ عُسْرٌ وصَعُوبَةٌ؛ فَإِنَّ الْيُسْرَ يقارنه ويصاحبه، حتَّى لو دخل العُسْرَ جُحْرَ ضَبٍّ؛ لدخل عليه الْيُسْرَ فَأَخْرَجَه؛ كما قال تعالى: «سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرَ يُسْرًا»^(١)، وكما قال النَّبِيُّ ﷺ: «وَإِنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكُرْبَ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(٢).

وتعرِيف العُسْرَ في الآيتين^(٣) يدلُّ على أَنَّهُ وَاحِدٌ، وَتَنْكِيرُ الْيُسْرَ يدلُّ على تكرارِه؛ فلن يغلب عُسْرٌ يُسْرِينَ.

وفي تعرِيفه بالأَلْفِ وَاللَّامِ الدَّالِّ^(٤) على الاستغراق والعموم يدلُّ على أَنَّ كُلَّ عُسْرٍ وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الصَّعُوبَةِ مَا بَلَغَ؛ فَإِنَّهُ فِي آخِرِهِ التَّيسِيرُ مَلَازِمٌ لَهُ.

﴿٧ - ٨﴾ ثُمَّ أَمْرٌ [اللَّهُ] رَسُولُهُ أَصْلًا وَالْمُؤْمِنُينَ تَبَعًا بِشَكْرِهِ وَالْقِيَامِ بِوَاجِبِ نِعْمَهُ، فَقَالَ: «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ»؛ أي: إِذَا تَفَرَّغْتَ مِنْ أَشْغَالِكَ، وَلَمْ يَبْقُ فِي قَلْبِكَ مَا يَعْوِقَهُ؛ فاجتهدُ فِي الْعِبَادَةِ وَالدُّعَاءِ، «وَإِلَيْ رَبِّكَ»؛ وَحْدَهُ «فَارْغَبْ»؛ أي: أَعْظَمُ الرَّغْبَةِ فِي إِجَابَةِ دُعَائِكَ وَقَبْوِ دُعَواتِكَ^(٥)، وَلَا تَكُنْ مَمْنَ إِذَا فَرَغُوا^(٦)؛ لَعْبُوا وَأَعْرَضُوا عَنْ رَبِّهِمْ وَعَنْ ذِكْرِهِ، فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

وقد قيل: إِنَّ مَعْنَى هَذَا^(٧): «فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الصَّلَاةِ وَأَكْمَلْتَهَا؛ فَانْصَبْ فِي الدُّعَاءِ، وَإِلَيْ رَبِّكَ فَارْغَبْ فِي سُؤَالِ مَطَالِبِكَ».

وَاسْتَدَلَّ مِنْ قَالَ هَذَا القَوْلُ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ عَقْبَ الصلواتِ المُكْتَبَاتِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ [وَبِذَلِكَ].

تمَّتْ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.



(١) جزءٌ من وصية الرَّسُول ﷺ لابن عباس. أخرجه الإمام أحمد (١/٣٠٧)، والترمذني (٢٥١٦) وقال: «حَدِيثٌ حَسْنٌ صَحِيحٌ».

(٢) في (ب): «الآية».

(٣) في (ب): «الدَّالَّة».

(٤) في (ب): «وَعِبَادَتِكَ».

(٥) في (ب): «إِذَا فَرَغُوا وَتَفَرَّغُوا».

(٦) في (ب): «مَعْنَى قَوْلِهِ».

تفسير سورة التين

وهي مكية

يسمى آثر الكفر الحسين

﴿وَالْتِينَ وَالْزَيْتُونَ ﴾ ^(١) **﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴾** **﴿وَهَذَا الْبَلْدَ الْأَمِينَ ﴾** **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَاهُ فِي أَحْسَنِ**
تَقْوِيمٍ ﴾ **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾** ^(٢) **﴿إِلَّا الَّذِينَ مَأْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾**
فَنَّا يُكَذِّبُكُمْ بَعْدُ بِالْبَيْنَ ﴾ ^(٣) **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَنْتَمْ لَخَدِيكُمْ ﴾** ^(٤).

﴿١ - ٣﴾ **«التين»**: هو التين المعروف، وكذلك **«الزيتون»**; أقسم بهما في الشجرتين؛ لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام محل نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام، **«وطور سينين»**; أي: طور سيناء محل نبوة موسى عليه السلام ^(٢)، **«وهذا البلد الأمين»**: وهو مكة المكرمة محل نبوة محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه. فأقسام تعالى بهذه المواقع المقدسة التي اختارها وابتاع منها أفضل الأنبياء وأشرفهم ^(٣).

﴿٤﴾ والمقسم عليه قوله: **«لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَاهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»**; أي: تأمّل الخلق، متناسب الأعضاء، متتصبّ القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهراً وباطناً شيئاً.

﴿٥ - ٦﴾ ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها؛ فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسفل الأمور وسفاسف الأخلاق، فردهم الله **«فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ»**; أي: أسفل النار موضع العصاة المتمرّدين على ربّهم؛ إلّا من مَنْ الله عليه بالإيمان والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة العالية، **«فَلَهُمْ»**: بذلك المنازل العالية، و **«أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ»**; أي: غير مقطوع، بل لذات متواترة وأفراح متواترة ونعم متکاثرة؛ في أبد لا يزول، ونعم لا يحول، أكملها دائم وظلّها.

﴿٧ - ٨﴾ **«فَمَا يَكْذِبُكُمْ بَعْدُ بِالْدِيْنِ»**; أي: أي شيء يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال؟ وقد رأيت من آيات الله الكثيرة ما يحصل لك به اليقين ^(٤)،

(١) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

(٢) في (ب): «موسى صلوات الله عليه وآله وسلامه».

(٣) في (ب): «أفضل النباتات وأشرفها».

(٤) في (ب): «ما به يحصل لك اليقين».

ومن نعمه ما يوجب عليك أن لا تكفر بشيء منها^(١). «ليس الله بأحلكم الحاكمين»: فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون؟ أم الذي خلق الإنسان أطواراً بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة؛ لا بد أن يعيدهم إلى دار هي مستقر لهم وغايتها التي إليها يقصدون ونحوها يؤمنون.

تمت. والحمد لله^(٢).



تفسير سورة اقرأ

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(٣) خلقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلِقٍ **﴿أَقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الْأَكْرَمِ ﴾** الَّذِي عَلَّمَ
بِالْفَلَمِ **﴿عَلَّمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾** كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَنَ لَيُطْغِيُ
أَنْ رَاهَهُ أَسْتَغْفِي **﴿إِنَّمَا إِلَّا هُوَ أَعْلَمُ ﴾** أَنَّ إِلَّا رَبِّكَ
الشَّعْقَ **﴿أَرَدْيَتَ الَّذِي يَتَعَقَّبُ ﴾** أَرَدْيَتَ إِذَا صَلَّى **﴿أَرَدْيَتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَدَى ﴾** أَوْ أَمْرَ إِلَيْهِ
أَرَدْيَتَ إِنْ كَتَبَ وَتَوَلَّ **﴿أَلَا يَعْلَمُ إِنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾** كَلَّا لِمَ لَمْ يَنْتَهُ لَنَفْعًا بِالْتَّائِبَةِ **﴿نَاصِيَتُهُ ﴾**
كَلَّا بِهِ خَاطَفَتُهُ **﴿فَلَيَأْتِيَ نَوَابِيْمُ ﴾** سَنَعَ الزَّانِيَةَ **﴿كَلَّا لَا شُطْعَةُ وَاسْجُدْ وَاقْرَبْ ﴾**.

﴿١﴾ هذه السورة أول السور القرآنية نزولاً على رسول الله ﷺ؛ فإنها نزلت عليه في مبادئ النبوة؛ إذ كان لا يدرى ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل عليه [الصلوة و] السلام بالرسالة، وأمره أن يقرأ، فامتنع وقال: ما أنا بقاريء! فلم يزل به حتى قرأ^(٤)؛ فأنزل الله [عليه]: «أقرأ باسم ربك الذي خلق»: عموم الخلق.

﴿٢﴾ ثم خصّ الإنسان، وذكر ابتداء خلقه «من علق»؛ فالذي خلق الإنسان واعتنى بتدبيره لا بد أن يدبّره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب^(٥)،

(١) في (ب): «مَا أَخْبَرْتَهُ». (٢) في (ب): «تمت. والحمد لله».

(٣) في (أ): إلى آخر السورة. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

(٤) تقدم تحريره وهو في «ال الصحيحين».

(٥) في (ب): «بإرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتب عليهم».

ولهذا أتى ^(١) بعد الأمر بالقراءة بخلقه ^(٢) للإنسان.

﴿٣ - ٥﴾ ثم قال: ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾؛ أي: كثير الصفات، واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علم أنواع العلوم ^(٣)، و﴿علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾؛ فإنه تعالى أخرجه من بطن أمّه لا يعلم شيئاً، وجعل له السمع والبصر والرؤايد، ويسّر له أسباب العلم؛ فعلم القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، [الذي به تحفظ العلوم] ^(٤) وتضبط الحقوق، وتكون رسلاً للناس تنوب مناب خطابهم؛ فلله الحمد والمئة الذي أنعم على عباده بهذه النعم، التي لا يقدرون لها على جزاء ولا شكور، ثمّ من عليهم بالغنى وسعة الرزق.

﴿٦ - ٨﴾ ولكن الإنسان لجهله وظلمه؛ إذا رأى نفسه غنياً؛ طغى، ويعنى، وتجبر عن الهدى، ونسي أنّ لربه ﴿الرجعي﴾؛ ولم يخف الجزاء، بل ربما وصلت به الحال أنّه يترك الهدى بنفسه ويدعو غيره إلى تركه، فينهى عن الصلاة التي هي أفضى أعمال الإيمان.

﴿٩ - ١٤﴾ يقول الله لهذا المتمرد العاتي: ﴿أرأيت﴾؛ أيها الناهي للعبد إذا صلّى، ﴿إن كان﴾؛ العبد المصلي ﴿على الهدى﴾؛ العلم بالحق والعمل به، ﴿أو أمر﴾؛ غيره ﴿بالثقوى﴾؛ فهل يحسن أن ينهى من هذا وصفه؟! أليس نهيه من أعظم المحاجة لله والمخاربة للحق؟! فإنّ النهي لا يتوجّه إلّا لمن هو في نفسه على غير الهدى، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى، ﴿أرأيت إن كذب﴾؛ الناهي بالحق، ﴿وتولى﴾؛ عن الأمر؟ أما يخاف الله ويخشى عقابه؟! ﴿ألم يعلم بأنّ الله يرى﴾؛ ما يعمل ويفعل.

﴿١٥ - ١٦﴾ ثم توعّده إن استمرّ على حاله، فقال: ﴿[كلا] لئن لم ينته﴾؛ عما يقول ويفعل، ﴿لنسفعنا بالنّاصية﴾؛ أي؛ لتأخذنّ بناصيته أخذناً عنيفاً، وهي حقيقة بذلك؛ فإنّها ﴿نّاصيّة كاذبة خاطئة﴾؛ أي: كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

﴿١٧ - ١٨﴾ ﴿فَلَيذْعُ﴾؛ هذا الذي حقّ عليه العذاب ^(٥) ﴿ناديه﴾؛ أي: أهل

(٢) في (ب): «خلقه».

(١) في (ب): «ذكر».

(٣) في (ب): «أن علم بالعلم».

(٤) كذا في (ب). وفي (أ): «الذي به تحفظ به العلوم».

(٥) في (ب): «العقاب».

مجلسه وأصحابه ومن حوله ليعنوه على ما نزل به، **﴿سَنَذْعُو الرِّبَانِيَّةَ﴾**؛ أي: خزنة جهنم لأخذه وعقوبته. فلينظر أي الفريقين أقوى وأقدر. فههذه حالة الناهي وما توعده به من العقوبة.

﴿١٩﴾ وأماماً حالة المنهي؛ فأمره الله أن لا يصغي إلى هذا الناهي، ولا ينقاد لنهيه، فقال: **﴿كَلَّا لَا تُطِغْ﴾**؛ أي: فإنه لا يأمر إلا بما فيه الخسار^(١)، **﴿وَاسْجُدْ﴾**: لربك، **﴿وَاقْرِبْ﴾**: منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات؛ فإنها كلها تدني من رضاه وتقرب منه. وهذا عاماً لكل ناء عن الخير ولكل منهياً عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة وعدبه^(٢) وأذاه.

تمت. والحمد لله رب العالمين^(٣).



تفسير سورة القدر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٤) **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾** **﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾** **﴿تَنَزَّلُ الْلَّهِكُّ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾** **﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾**^(٥).

﴿١﴾ يقول تعالى مبيناً لفضل القرآن وعلو قدره: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾**: كما قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مَبَارَكَةٍ﴾** [وذلك أن الله تعالى ابتدأ بإنزال القرآن^(٦) في رمضان في ليلة القدر، ورحم الله بها العباد رحمة عامة لا يقدر العباد لها شكرأ، وسميت ليلة القدر لعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الآجال والأرزاق والمقادير القدرية.

(١) في (ب): «إلا بما فيه خسارة الدارين». (٢) في (ب): «وعبت به».

(٣) في (ب): «تمت. والله الحمد».

(٤) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

(٥) في (ب): «بإنزاله».

﴿٢﴾ ثم فَخِمْ شَانِهَا وَعَظِيمٌ مَقْدَارُهَا، فَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لِيَلَةُ الْقَدْرِ﴾؛ أي: فإنَّ شَانِهَا جَلِيلٌ، وَخَطْرَهَا عَظِيمٌ.

﴿٣﴾ ﴿لِيَلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ أي: تَعَادُلُ مِنْ فَضْلِهَا أَلْفُ شَهْرٍ، فَالْعَمَلُ الَّذِي يَقُولُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ خَالِيَّةٍ مِنْهَا، وَهَذَا مَا تَحْبَرُ فِيهِ^(١) الْأَلْبَابَ، وَتَنْدَهُشُ لَهُ الْعُقُولُ؛ حَيْثُ مِنْ [تَبَارَكَ وَ] تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُسْبِعَةِ، الْقُوَّةِ وَالْقُوَّى بِلِيَلَةٍ يَكُونُ الْعَمَلُ فِيهَا يَقْبَلُ وَيُزِيدُ عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ، عَمْرُ رَجُلٍ مَعْمَرٍ عَمْرًا طَوِيلًا نِيَافًا وَثَمَانِينَ سَنَةً.

﴿٤﴾ ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾؛ أي: يَكْثُرُ نَزُولُهُمْ فِيهَا، ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.
 ﴿٥﴾ ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾؛ أي: سَالِمَةٌ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَشَرٍّ، وَذَلِكَ لِكُثْرَةِ خَيْرِهَا، ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾؛ أي: مِنْ بَدْءِهَا مِنْ غَرَوبِ الشَّمْسِ وَمِنْتَهِاهَا طَلْوَعِ الْفَجْرِ^(٢). وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِهَا^(٣)، وَأَنَّهَا فِي رَمَضَانَ، وَفِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ، خَصْوَصًا فِي أُوْتَارِهِ، وَهِيَ بِاُبَقِيَّةٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ وَيَكْثُرُ مِنَ التَّعْبُدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنَ رَمَضَانَ رَجاءً لِيَلَةَ الْقَدْرِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



تفسير سورة لم يكن

وهي مدنية

بسند أقوال الكثيرون

﴿لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْكَرٍ حَتَّىٰ تَأْتِيهِمُ الْبِيْتَةُ﴾^(٤) (١) رَسُولُ مِنْ اللَّهِ يَتَلَوُ مُحْمَّدًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ (٣) وَمَا نَفَرَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبِيْتَةُ (٤) وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حَنَّفُوا وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْذُرُوا

(١) في (ب): «بَه».

(٢) في (ب): «أي: تنتهي من غروب الشمس إلى طلوع الفجر».

(٣) انظر «صحيح البخاري» كتاب فضل ليلة القدر. و«صحيح مسلم» باب فضل ليلة القدر والبحث على طلبها وبيان محلها وأرجح أوقات طلبها.

(٤) في (أ): طمس. وفي (ب) إلى آخر السورة.

الْأَرْكَوَةُ وَذَلِكَ دِينُ الْقِسْمَةِ ٦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ٧ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ٨ جَرَأُوهُمْ عَنْ دِرَبِهِمْ جَنَّثُ عَنِ تَجْرِي مِنْ تَحْمِلَهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبُّهُ ٩ .

﴿١﴾ يقول تعالى: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب»؛ أي: من اليهود والنصارى، «والمسركين»؛ من سائر أصناف الأمم، «منافقين»؛ عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه؛ أي: لا يزالون في غيّهم وضلالهم، لا يزيد them مرور الأوقات^(١) إلا كفراً، «حتى تأتيهم البينة»؛ الواضحة والبرهان الساطع.

﴿٢﴾ ثم فسر تلك البينة، فقال: «رسول من الله»؛ أي: أرسله الله يدعو الناس إلى الحق، وأنزل عليه كتاباً يتلوه ليعلم الناس الحكمة ويزكيهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وللهذا قال: «يتلو صحفاً مطهرة»؛ أي: محفوظة من^(٢) قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون؛ لأنها أعلى^(٣) ما يكون من الكلام، وللهذا قال عنها: «فيها»؛ أي: في تلك الصحف «كتب قيمة»؛ أي: أخبار صادقة وأوامر عادلة تهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم؛ فإذا جاءتهم هذه البينة؛ فحيثما يتبع طالب الحق ممن ليس له مقصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة ويعيش من حي عن بينة.

﴿٤﴾ وإذا لم يؤمن أهل الكتاب بهذا الرسول وينقادوا له؛ فليس ذلك بيدع من ضلالهم وعنادهم؛ فإنهم ما تفرقوا واختلفوا وصاروا أحزاباً ﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾؛ التي توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداةتهم وندالتهم لم يزدهم الهدى إلا ضلالاً ولا بصيرة إلا عمى.

﴿٥﴾ مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحد ودين واحد؛ مما «أمروا» في سائر الشرائع، إلا أن يعبدوا «الله مخلصين له الدين»؛ أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله وطلب الزلفى لديه، «حنفاء»؛ أي: معرضين مائليين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد، وخصوص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنّهما داخلان في قوله: «ليعبدوا الله مخلصين له الدين»؛ لفضلهما وشرفهما

(١) في (ب): «الستين». .

(٢) في (ب): «عن».

(٣) في (ب): «الأنها في أعلى».

وكونهما العبادتين اللتين مَنْ قام بهما قام بجمع شرائع الدين. «وَذَلِكُ»؛ أي: التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ فِي الدِّينِ هُوَ «دِينُ الْقِيمَةِ»؛ أي: الدِّينُ الْمُسْتَقِيمُ الْمُوَصَّلُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَمَا سُواهُ فَطَرَقُ مُوَصَّلٌ إِلَى الْجَحَّمِ.

﴿٦﴾ ثُمَّ ذَكَرَ جَزَاءَ الْكَافِرِينَ بَعْدَمَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ، فَقَالُوا: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمِ»؛ قَدْ أَحاطَ بِهِمْ عَذَابًا، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ عَقَابًا، «خَالِدِينَ فِيهَا»؛ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ، وَهُمْ فِيهَا مُبْلِسُونَ. «أُولَئِكَ هُمْ شُرُّ الْبَرِيَّةِ»؛ لَا تَهُمْ عَرَفُوا الْحَقَّ، وَتَرَكُوهُ، وَخَسَرُوا الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

﴿٧﴾ «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»؛ لَا تَهُمْ عَبَدُوا اللَّهَ وَعَرَفُوهُ، وَفَازُوا بِنَعِيمِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

﴿٨﴾ «جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عِدْنَ»؛ أي: جَنَّاتٌ إِقَامَةٌ لَا ظُنُونَ فِيهَا وَلَا رَحِيلٌ وَلَا طَلْبٌ لِغَايَةٍ فَوْقَهَا، «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضِيَ عَنْهُمْ»؛ فَرَضِيَ عَنْهُمْ بِمَا قَامُوا بِهِ مِنْ مَرَاضِيهِ، وَرَضِيَ عَنْهُ بِمَا أَعْدَ لَهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ [وَجَزِيلِ الْمُثُوبَاتِ]. «ذَلِكُ»؛ الْجَزَاءُ الْحَسَنُ «لِمَنْ خَشِيَ رَبُّهُ»؛ أي: لِمَنْ خَافَ اللَّهَ فَأَحْجَمَ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَقَامَ بِمَا أُوجِبَ عَلَيْهِ^(١).

تمت. والحمد لله.



تفسير سورة إذا زللت

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْلَتِ الْأَرْضُ زِلَّا مَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ إِلَيْنَاهُ مَا لَمَّا يُوَمِّلَ زُلْلَتِ أَخْبَارَهَا ﴿٣﴾ يَأْنَ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٤﴾ يُوَمِّلُ يَصْدُرُ الْأَسْأَرُ أَشْنَانًا لَيَرَوْا أَعْنَلَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ ﴿٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرَّةً شَرًّا يَرَهُ ﴿٦﴾ ١ - ٢﴾ يَخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَكُونُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَتَزَلَّزُ وَتَرْجُفُ وَتَرْتَجُ

(١) في (ب): «وَقَامَ بِوَاجْبَاتِهِ».

(٢) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

حتى يسقط ما عليها من بناء ومغلِّم^(١)، فتندك جبالها، وتسوئ تلالها، وتكون قاعاً صفصفاً لا عوج فيه ولا أمتا، «وأخرجت الأرض أثقالها»؛ أي: ما في بطنها من الأموات والكنوز.

﴿٢﴾ **﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾** : إذا رأى ما عرّاها من الأمر العظيم [مستعظاماً لذلك] : **﴿مَا لَهَا﴾** ؛ أي: أي شيء عرض لها؟!

﴿٤ - ٥﴾ **﴿يَوْمَئِذٍ تَحَدُّثُ﴾** : الأرض **﴿أَخْبَارَهَا﴾** ؛ أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر؛ فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم. ذلك **﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾** ؛ أي^(٢) : أمرها أن تخبر بما عمل عليها؛ فلا تعصي^(٣) لأمره.

﴿٦﴾ **﴿يَوْمَئِذٍ يَضَدُّ النَّاسُ﴾** : من موقف القيامة [حين يقضي الله بينهم] **﴿أَشْتَانًا﴾** ؛ أي: فرقاً متفاوتين، **﴿لَيَرَوُا أَعْمَالَهُم﴾** ؛ أي: ليりهم الله ما عملوا من **السيئات والحسنات**^(٤) ، ويريهما جزاءه موفرأ.

﴿٧ - ٨﴾ **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** : وهذا شامل عام للخير والشر كله؛ لأنّه إذا رأى مثقال الذرة التي هي أحرق الأشياء، وجوزي عليها؛ فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى؛ كما قال تعالى: **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مَحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوْدُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدَأَ بَعِيدًا﴾** ، **﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حاضرًا﴾** ، وهذا فيه الترغيب^(٥) في فعل الخير، ولو قليلاً، والتربّيب من فعل الشر، ولو حقيقة.

تفسير سورة العاديات

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَدِيَّتْ ضَبَحًا ﴿٦﴾ فَالْمُؤْرِيَتْ فَدَحًا ﴿٧﴾ فَالْمُغَيَّرَتْ صَبَحًا ﴿٨﴾ فَأَثْرَنَ يَهْ نَقْعًا ﴿٩﴾

(١) في (ب): «وَعَلِمَ».

(٢) في (ب): «وَلَا تَعْصِي».

(٤) في (ب): «من الحسنات والسيئات».

(٥) في (ب): «وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا غَايَةُ التَّرْغِيبِ».

(٦) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

فَوَسْطَنَ بِهِ جَمِيعًا ⑥ إِنَّ الْإِنْسَنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑦ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ⑧ وَإِنَّهُ لِحَتِّيِّ
الْخَغْرِ لَشَهِيدٌ ⑨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بَعَثَرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصَّدُورِ ⑪ إِنَّ رَبَّهُمْ
يَوْمَ يُوَمِّلُ لَخَيْرًا ⑫ .

﴿١﴾ أقسم [الله تبارك و] تعالى بالخيل؛ لما فيها من آياته^(١) الباهرة ونعمته
الظاهرة ما هو معلوم للخلق، وأقسم تعالى بها في الحال التي لا يشاركتها فيه غيرها
من أنواع الحيوانات، فقال: ﴿والعاديات ضبحا﴾؛ أي: العadiات عدواً بليغاً قوياً
يصدر عنهم الضَّبْخُ، وهو صوت نفَسها في صدرها عند اشتداد عذوها^(٢).

﴿٢﴾ ﴿فالموريات﴾: بحوافرها ما يطأّ عليه من الأحجار، ﴿قَذْحا﴾؛ أي:
تنقدح^(٣) النار من صلابة حوافرها وقوتها إذا عذَّونَ.

﴿٣﴾ ﴿فالمحيرات﴾: على الأعداء، ﴿صَبْحًا﴾: وهذا أمرُ أغلبيٍّ لأنَّ الغارة تكون
صباحاً.

﴿٤ - ٥﴾ ﴿فاثرن به﴾؛ أي: بعدهنَّ وغارتنهنَّ، ﴿نَقْعا﴾؛ أي: غباراً،
﴿فوسطن به﴾؛ أي: براكبهنَّ ﴿جَمِيعاً﴾؛ أي: توسيطن به جموع الأعداء الذين أغارت
عليهم.

﴿٦﴾ والمقصَم عليه قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾؛ أي: منوعٌ للخير
الذي لله عليه^(٤)؛ فطبيعة الإنسان وجيئته أنَّ نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق
فتؤديها كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليها^(٥) من الحقوق المالية
والبدنية؛ إلَّا مَنْ هدَاهُ اللَّهُ وَخَرَجَ عَنْ هَذَا الوَصْفِ إِلَى وَصْفِ السَّماحِ بِأَدَاءِ
الحقوق.

﴿٧﴾ ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾؛ أي: إنَّ إِنْسَانَ عَلَى مَا يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ
المنع والكَنَّد لِشَاهَدَ بِذَلِكَ لَا يَجْحَدُهُ وَلَا يَنْكِرُهُ؛ لَأَنَّ ذَلِكَ [أَمْرٌ] بَيْنَ وَاضْعَفَ،
ويحتمل أنَّ الضمير عائدٌ إلى الله [تعالى]؛ أي: إِنَّ الْعَبْدَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَى ذَلِكَ؛ فِيهِ الْوَعِيدُ وَالتَّهْدِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ هُوَ لِرَبِّهِ كَنُودٌ بَأْنَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَهِيدٌ.

(١) في (ب): «آيات الله».

(٢) في (ب): «العدو».

(٣) في (ب): «تقدح».

(٤) في (ب): «عليه».

(٥) في (ب): «عليه».

﴿٨﴾ ﴿وَإِنَّهُ﴾؛ أي: الإنسان «الحبُّ الْخَيْرُ»؛ أي: المال، «الشَّدِيدُ»؛ أي: كثير الحبُّ للمال، وحبُّه لذلِكَ هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه؛ قَدْمَ شهوة نفسه على رضا^(١) ربه، وكلُّ هذَا لآللَّه قصر نظره على هذِه الدار، وغفل عن الآخرة.

﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾ ولهذا قال حائِثاً له على خوف يوم الوعيد: «أَفَلَا يَعْلَمُ»؛ أي: هلْ يعلم هذَا المغتر، «إِذَا بَعْثَرَ مَا فِي الْقُبُوْرِ»؛ أي: أخرج الله الأموات من قبورهم لحشرهم ونشرورهم، «وَحَصَّلَ مَا فِي الصُّدُوْرِ»؛ أي: ظهر وبيان ما فيها وما استتر في الصدور من كمائِنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فصار السُّرُّ علانيةً والباطن ظاهراً، وبيان على وجوهِ الْخَلْقِ نتْيَةُ أَعْمَالِهِمْ.

﴿١١﴾ «إِنَّ رَبِّهِمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ»؛ أي: مطلع على أَعْمَالِهِمْ الظَّاهِرَةُ والبَاطِنَةُ، الْخَفِيَّةُ وَالْجَلِيلَةُ، ومجازِيهِمْ عَلَيْهَا، وَخَصَّ خَبَرَهُمْ^(٢) بِذلِكَ الْيَوْمِ مَعَ أَنَّهُ خَبِيرٌ بِهِمْ كُلُّ وَقْتٍ؛ لَأَنَّ الْمَرَادَ بِهِذَا الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ^(٣) النَّاسِيَّةِ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ وَاطْلَاعِهِ.



تفسير سورة القارعة

وهي مكية

نَسْمَةُ اللَّهِ الْكَبِيرِ الْمُكَيَّةِ

﴿الْقَارِعَةُ﴾ ١ ما الْقَارِعَةُ^(٤) ٢ وَمَا أَدْرِنَكَ مَا الْقَارِعَةُ^(٥) ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمُبَثُوثِ^(٦) ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعَهْنِ الْمَنْفُوشِ^(٧) ٥ فَأَمَّا مَنْ نَقْلَتْ مَوَازِينُهُ^(٨) ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ^(٩) ٧ وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ^(١٠) ٨ فَأَمَّا هُوَاوِيَةٌ^(١١) ٩ وَمَا أَدْرِنَكَ مَا هِيَةٌ^(١٢) ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ^(١٣) ١١﴾.

﴿١ - ٣﴾ ﴿الْقَارِعَةُ﴾: من أسماء يوم القيمة، سميت بذلك لأنها تقع الناس وتزعجهم

(١) في (ب): «حق».

(٢) في (ب): «خبره».

(٣) في (ب): «لأنَّ المراد بذلك الجزاء بالأعمال».

(٤) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

بأهالها، ولهذا عظم أمرها وفخّمه بقوله: ﴿القارعةُ. ما القارعةُ. وما أدركَ ما القارعةُ﴾.

﴿٤﴾ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾: من شدة الفزع والهول، ﴿كَالْفِرَاشِ الْمُبْثُوثِ﴾؛ أي: كالجراد المنتشر الذي يموج بعضه في بعض، والفراش هي الحيوانات التي تكون في الليل يموج بعضها ببعض، لا تدري أين توجه؛ فإذا أوقدها ناراً؛ تهافت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول.

﴿٥﴾ وأما الجبال الصم الصلب؛ فتكون ﴿كَالْعَهْنِ الْمُنْفُوشِ﴾؛ أي: كالصوف المنفوش الذي بقي ضعيفاً جداً تطير به أدنى ريح؛ قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجَبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مِنَ السَّحَابِ﴾، ثم بعد ذلك تكون هباءً متثراً، فتضمحل ولا يبقى منها شيء يشاهد. فحيثئذ تنصبُ الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء:

﴿٦ - ٧﴾ ﴿فَإِمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾؛ أي: رجحت حسناته على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: في جنات النعيم.

﴿٨ - ١١﴾ ﴿وَإِمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته، ﴿فَأُمَّةٌ هَاوِيَةٌ﴾؛ أي: مأواه ومسكناه النار التي من اسمائها الهاوية، تكون له بمنزلة الأُم الملازمة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾. وقيل: إنَّ معنى ذلك: فاءُ دماغه هاوية في النار؛ أي: يلقى في النار على رأسه، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيهَةُ﴾؛ وهذا تعظيم لأمرها. ثم فسرها بقوله: ﴿نَارٌ﴾^(١) حامية؛ أي: شديدة الحرارة، قد زادت حرارتها على حرارة نار الدنيا بسبعين ضعفاً. نستجير بالله منها.



تفسير سورة ألهاكم التكاثر وهي مكة

يَسِّرْ أَفْرَكَ الْكَافِرَ

﴿أَهْنَمُكُمُ الْكَافَرُ﴾^(٢) ١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥) لَتَرَوْتُ الْجَحِيمَ ٦) ثُمَّ لَتَرَوْنَاهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧) ثُمَّ لَتُشَكَّلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ الْعَيْمِ ٨﴾.

(١) في (ب): «بقوله: هي نار».

(٢) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب) ذكر الآيات إلى آخر السورة.

﴿١﴾ يقول تعالى مويخاً عباده عن اشتغالهم عمّا خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له ومعرفته والإنابة إليه وتقديم محبتة على كل شيء: ﴿الْهَاكُم﴾: عن ذلك المذكور، ﴿الْتَّكَاثِر﴾: ولم يذكر المتكاثر به؛ ليشمل ذلك كل ما يتکاثر به المتکاثرون ويفتخرون به المفتخرة؛ من [التکاثر في] الأموال والأولاد والأنصار والجند والخدم والعاجه وغير ذلك مما يقصد منه مکاثرة كل واحد لآخر، وليس المقصود منه وجه الله^(١).

﴿٢﴾ فاستمرت غفلتكم ولهوتكم وتشاغلكم ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِر﴾: فانكشف حينئذ لكم^(٢) الغطاء، ولكن بعدما تعرّف عليكم استئنافه. ودلّ قوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِر﴾: أنّ البرزخ دار المقصود منها النفوذ إلى الدار الآخرة^(٣); لأن الله سماهم زائرين، ولم يسمّهم مقيمين، فدلّ ذلك على البعث والجزاء على الأعمال^(٤) في دار باقية غير فانية.

﴿٣ - ٦﴾ ولهذا توعدهم: ﴿كَلَّا سُوفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سُوفَ تَعْلَمُونَ عَلَمَ الْيَقِينِ﴾؛ أي: لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب؛ لما ألهكم التکاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيركم إلى ما ترون، ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾؛ أي: لترىن القيمة، فلتترؤن الجحيم التي أعدّها الله للكافرين.

﴿٧﴾ ﴿ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾؛ أي: رؤية بصرية؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَضِيفًا﴾.

﴿٨﴾ ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ الْشَّعْبِ﴾: الذي تنعمتم به في دار الدنيا؛ هل قمتم بشكره، وأذيتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه؛ فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل؟ أم أغتررتم به، ولم تقوموا بشكره، بل ربّما استعنتم به على المعاصي^(٥)؛ فيعاقبكم على ذلك؟ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُغَرَّضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبُنَّهُمْ طَبَاتِكُمْ فِي حَيَاكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُبَجِّزُونَ عِذَابَ الْهُوَنِ . . .﴾ الآية.



(١) في (ب): «وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى».

(٢) في (ب): «لكلم حينئذ».

(٣) في (ب): «إلى الدار الباقية».

(٤) في (ب): «بالأعمال».

(٥) في (ب): «معاصي الله».

تفسير سورة والعصر

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُتْرٍ  إِلَّا الَّذِينَ مَأْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالْأَصْبَرِ .

﴿١ - ٣﴾ أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم؛ أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابع، والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خساراً مطلقاً؛ كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.

وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان؛ إلّا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم؛ فهو فرع عنه لا يتم إلّا به.

والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق ^(١) الله وحقوق ^(١) عباده، الواجبة والمستحبة.

والتوابusi بالحق الذي هو الإيمان والعمل الصالح؛ أي: يوصي بعضهم ببعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

والثوابusi بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة. فبالأمرتين الأولتين يكمل العبد ^(٢) نفسه، وبالأمرتين الأخيرتين يكمل غيره، ويتكميل الأمور الأربعية يكون العبد ^(٢) قد سلم من الخسار وفاز بالربح العظيم.



(١) في (ب): «حق».

(٢) في (ب): «الإنسان».

تفسير سورة الهمزة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيَلْ لِكُلِ هُمَزَ لَمَرَةٌ ﴾ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَدًا **﴿يَحْسِبُ أَنَّ مَا لَهُ أَخْلَدُمْ كَلَّا لَيَبْدَأُ فِي الْحُطْمَةِ ﴾** (٢) وَمَا أَدْرِكَ مَا الْحُطْمَةُ **﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوْقَدَةُ ﴾** (٣) الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْغَادِ **﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ﴾** (٤) فِي عَمَلٍ مُمَدَّدَمْ (٥).

﴿وَيَلْ ﴾ (٦) أي: وعيده ووبال وشدة عذاب، **﴿لِكُلِ هُمَزَ لَمَرَةٌ ﴾** (٧) أي: الذي يهمز الناس بفعله ويلمزهم بقوله؛ فالهماز: الذي يعيث الناس ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيثهم بقوله.

﴿وَمِنْ صِفَةِ هَذِهِ الْهَمَازِ [اللَّمَازِ] أَنَّهُ لَا هُمْ لَهُ سُوَى جَمْعِ الْمَالِ وَتَعْدِيْدِهِ (٨) والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام ونحو ذلك.

﴿يَحْسِبُ﴾: بجهله **﴿أَنَّ مَا لَهُ أَخْلَدَهُ﴾**: في الدنيا، فلذلك كان كده وسعيه [كله] في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار ويخرب الديار، وأن البر يزيد في العمر.

﴿كَلَّا لَيَبْدَأُنَّ﴾ (٩) أي: ليطرحن ^(١) **﴿فِي الْحُطْمَةِ﴾**. وما أدرك ما **الْحُطْمَةُ﴾**: تعظيم لها وتهويل شأنها. ثم فسرها بقوله: **﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوْقَدَةُ﴾**: التي وقودها الناس والحجارة، **﴿الَّتِي﴾**: من شدتتها **﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْغَادِ﴾**؛ أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب.

﴿وَمَعَ هَذِهِ الْحَرَارَةِ الْبَلِيْغَةِ، هُمْ مُحْبُسُونَ فِيهَا، قَدْ أَيْسَوْا مِنَ الْخُرُوجِ منها، ولهذا قال: **﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾**؛ أي: مغلقة، **﴿فِي عَمَلِهِ﴾**: من خلف الأبواب، **﴿مُمَدَّدَةٌ﴾**: لثلا يخرجوا منها؛ **﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعْيَدُوا فِيهَا﴾**، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية.



(١) في (ب): «يطرحن».

تفسير سورة الفيل

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَّا تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ يَأْصَبُ الْفِيلِ ﴾١﴾ أَلَّا يَجْعَلْ كَيْدَهُ فِي تَضْليلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طِيرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِيلٍ ﴿٤﴾ فَعَلَاهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾ .

﴿٤ - ٥﴾ أي : أمارأيت من قدرة الله وعظمي شأنه ورحمته بعباده وأدلة توحيده وصدق رسوله [محمد ﷺ] ما فعله الله بأصحاب الفيل ، الذين كادوا بيته الحرام ، وأرادوا إخراجه؛ فتجهزوا لأجل ذلك ، واستصحبو معهم الفيلة لهدمه ، وجاؤوا بجمع لا قبل للعرب به من الحبشة واليمن ، فلما انتهوا إلى قرب مكة . ولم يكن بالعرب مدافعة ، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً [على أنفسهم] منهم - أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ، أي : متفرقة ، تحمل أحجاراً^(١) محممة من سجيل ، فرميهم بها ، وتبعطت قاصيهم ودايئهم ، فخدموا وهمدوا ، وصاروا كعصف مأكل ، وكفى الله شرهم ، وردد كيدهم في نحورهم ، وقضتهم معروفة مشهورة ، وكانت تلك السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ، فصارت من جملة إرهاصات دعوته وأدلة^(٢) رسالته . فله الحمد والشكر .

* * *

تفسير سورة لإيلاف قريش

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا فَرَّتِيشٌ ﴾٦﴾ لَا لَهُمْ رِحْلَةُ الشَّتاءِ وَالصَّيفِ ﴿٧﴾ فَلَيَقْبَذُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٨﴾ أَلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ حَوْفٍ ﴿٩﴾ .

﴿٦ - ٩﴾ قال كثير من المفسرين : إن الجاز والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها ؛ أي : فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل ؛ لأجل قريش وأمنهم واستقامة مصالحهم وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن وفي الصيف للشام لأجل التجارة والمكاسب .

(٢) في (ب) : «حجارة». (١) في (ب) : «ومقدمات».

فأهلک الله من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي سفر أرادوا، ولهذا أمرهم الله بالشكرا، فقال: «فَلْيَغْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ»؛ أي: ليجحدوه ويخلصوا له العبادة، «الذِي أطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وَأَمْتَهُم مِنْ خُوفٍ»؛ فرغد الرزق والأمن من الخوف^(١) من أكبر النعم الدنيوية الموجبة لشكر الله تعالى. فلك اللهم الحمد والشکر على نعمك الظاهرة والباطنة. وخص الله الربوبية بالبيت^(٢) لفضله وشرفه، وإنما فهو رب كل شيء.

* * *

تفسير سورة الماعون

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالَّذِينَ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْبَيْتَمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصْلِينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَأَةُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

﴿١﴾ يقول تعالى ذاماً لمن ترك حقوقه وحقوق عباده: «أرأيت الذي يكذب بالذين»؛ أي: بالبعث والجزاء؛ فلا يؤمن بما جاءت به الرسل.

﴿٢﴾ «فذلك الذي يدع اليتيم»؛ أي: يدفعه بعنف وشدّه، ولا يرحمه؛ لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثواباً ولا يخاف^(٣) عقاباً.

﴿٣﴾ «ولا يحضر»؛ غيره «على طعام المسكين»؛ ومن باب أولى أنه بنفسه لا يطعم المسكين.

﴿٤ - ٥﴾ «فويل للمصلين»؛ أي: الملتزمين^(٤) لإقامة الصلاة، ولكنهم «عن صلاتهم ساهون»؛ أي: مضيئون لها، تاركون لوقتها، مخلدون^(٥) بأركانها، وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله؛ حيث ضيئوا الصلاة التي هي أهم الطاعات، والسهوا عن

(١) في (ب): «من المخاوف».

(٢) في (ب): «ولا يخشى».

(٣) في (ب): «مفوتون».

(٤) في (ب): «بالربوبية البيت».

(٥) في (ب): «أي: الذين ملتزمون».

الصلوة هو الذي يستحق صاحبه الذم واللوم^(١)، وأمام السهو في الصلاة؛ فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي ﷺ^(٢).

﴿٦ - ٧﴾ ولهذا وصف الله هؤلاء بالرياء والقسوة وعدم الرحمة، فقال: «الذين يراؤون»؛ أي: يعملون الأعمال لأجل رثاء الناس، «ويمنعون الماعون»؛ أي: يمنعون إعطاء شيء الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية أو الهبة؛ كالإماء والدلو والفالس ونحو ذلك مما جرت العادة بيذهله والسماح به^(٣)، فهؤلاء لشدة حرصهم يمنعون الماعون؛ فكيف بما هو أكثر منه؟!

وفي هذه السورة الحث على إطعام^(٤) اليتيم والمساكين، والتّحضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيها، وفي سائر الأعمال^(٥)، والحدث على فعل المعروف، وبذل الأمور الخفيفة كعارية الإناء والدلو والكتاب ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك. والله سبحانه أعلم^(٦).

* * *

تفسير سورة الكوثر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْهَرْ ② إِنْ شَاءَكَ هُوَ أَلَّا يَرَ ③﴾
 ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْهَرْ ② إِنْ شَاءَكَ هُوَ أَلَّا يَرَ ③﴾
 ﴿١﴾ يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ [ممثلاً عليه]: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»؛ أي: الخير الكثير والفضل الغزير، الذي من جملته ما يعطيه الله لنبيه ﷺ [يوم القيمة] من النهر الذي يقال له: الكوثر^(٧)، ومن الحوض^(٨)؛ طوله شهر وعرضه

(١) في (ب): «الذم والوعيد». قال: «إنما

(٢) كما في « صحيح البخاري» (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢) من حديث ابن مسعود أنه ﷺ قال: «إنما

أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكريوني».

(٤) في (ب): «إكرام».

(٣) في (ب): «والسماحة بها».

(٥) في (ب): «وعلى الإخلاص في جميع الأعمال». والحمد لله رب العالمين».

(٦) في (ب): «والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب». والحمد لله رب العالمين».

(٧) كما في « صحيح مسلم» (٤٠٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٨) في (ب): «ومن الحوض الذي يقال له الكوثر».

شهر، مأوه أشدّ بياضًا من اللين، وأحلى من العسل، آتته عدد نجوم السماء^(١) في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة؛ لم يظماً بعدها أبداً^(٢).

﴿٢﴾ ولما ذكر ميته عليه؛ أمره بشكرها، فقال: «فصل لربك وانحر»: خص هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما أفضل^(٣) العبادات وأجل التقربات، ولأن الصلة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقله^(٤) في أنواع العبودية، وفي النحر تقرُب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جُبِلت التفوس على محبيه والشُّح به.

﴿٣﴾ «إِنَّ شَانِئَكَ»؛ أي: مبغضك وذامك ومتنقضك، «هو الأبر»؛ أي: المقطوع من كل خير؛ مقطوع العمل، مقطوع الذكر، وأمّا محمد ﷺ؛ فهو الكامل حُفَّا، الذي له الكمال الممكّن للمخلوق^(٥) من رفع الذكر وكثرة الأنصار والأتباع عليه السلام.



تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَبْعَدُونَ ۚ وَلَا أَنْتُ عَنِّي دُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۚ وَلَا أَنْتُ عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۚ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي ۝﴾.

﴿١﴾ أي: قل للكافرين معلنًا ومصرّحاً: «لا أعبد ما تبعدون»؛ أي: تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله ظاهراً وباطناً. «ولا أنت عابدون ما أعبد»: لعدم إخلاصكم في عبادتكم لله^(٦)؛ فعبادتكم له المقتنة بالشرك لا تسمى عبادة. وكرار ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفاً

(١) في (ب): «أوانيه كنجوم السماء».

(٢) كما في «صحيحة مسلم» (٢٣٠٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) في (ب): «من أفضل».

(٤) في (ب): «وتنقلها».

(٥) في (ب): «في حق المخلوق».

(٦) في (ب): «الله في عبادتكم».

لازماً، ولهذا ميّز بين الفريقين، وفصل بين الطائفتين، فقال: «لَكُم دِينُكُمْ وَلِي دِينِ»؛ كما قال تعالى: «قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ»؛ أنتم بريئون مما اعمل، وأنا بريء مما تعملون.



تفسير سورة النصر

وهي مدنية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ مِّنْ رَّبِّكَ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَيَّغَتْ هُمَّةُ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّمَا كَانَ تَوَابًا ②﴾

٦٣) في هذه السورة الكريمة: بشارة، وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة، وتنبيه على ما يتربّى على ذلك:

فالبشرى هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس «في دين الله أفواجا» بحيث يكون كثيراً منهم من أهله وأنصاره بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به.

وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح؛ فأمر [الله] رسوله أن يشكّره^(٢) على ذلك، ويسبّح بحمده، ويستغفره.

وأما الإشارة؛ فإن في ذلك إشارتين: إشارة أن النصر يستمر للدين^(٣) ويزداد عند حصول التسبّيح بحمد الله واستغفاره من رسوله؛ فإن هذا من الشّكر، والله يقول: «لَئِن شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ»؛ وقد وُجِدَ ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة، لم يزل نصر الله مستمراً حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه من لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفه أمر الله ما حدث، فابتُلُوا^(٤) بتفرق الكلمة وتشتّت الأمر، فحصل ما حصل، ومع هذا؛ فلهذه الأمة وهذا الدين من رحمة الله ولطفه ما لا يخطر بالبال أو يدور في الخيال.

(١) في (أ): «مكة». (٢) في (ب): «أن يشكّر ربّه».

(٣) في (ب): «إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين».

(٤) في (ب): «فابتلاهم الله».

وأما الإشارة الثانية؛ فهي الإشارة إلى أنَّ أَجَلَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ قَرُبَ وَدَنَا، وَوَجَهَ ذَلِكَ أَنَّ عُمْرَهُ عُمْرًا فَاضِلًا، أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ، وَقَدْ عَاهَدَ أَنَّ الْأَمْرَ الْفَاضِلَةَ تُخْتَمَ بِالْاسْتِغْفَارِ؛ كَالصَّلَاةِ وَالْحَجَّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ بِالْحَمْدِ وَالْاسْتِغْفَارِ فِي هَذِهِ الْحَالِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ أَجَلَهُ قَدْ اَنْتَهَى؛ فَلَيُسْتَعِدَّ وَيَتَهَيَّأَ لِلْقَاءِ رَبِّهِ وَيَخْتَمَ عُمْرَهُ بِأَفْضَلِ مَا يَجِدُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَكَانَ [سُبْحَانَ اللَّهِ] يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ وَيَقُولُ ذَلِكَ فِي صَلَاتِهِ؛ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سَبَحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(١).



تفسير سورة تبت

وهي مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَى نَارًا ③ ذَاتَ لَهَبٍ ④ وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةُ الْحَطَبِ ⑤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَلِّمٍ ⑥﴾.

أبو لهب هو عمُّ النَّبِيِّ ﷺ، وكان شديد العداوة والأذية له^(٢)؛ فلا فيه دين له، ولا حمية للقرابة، قَبَّحَهُ اللَّهُ، فذمَّهُ اللَّهُ بِهَذَا الذُّمِّ العظيم، الذي هو خزيٌّ عليه إلى يوم القيمة، فقال:

﴿١﴾ «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ»؛ أي: خسرت يداه وشققي، «وَتَبَّ»: فلم يربح.
 ﴿٢﴾ «مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ»: الذي كان عنده؛ فأطغاه^(٣)، ولا «مَا كَسَبَ»: فلم يرُدَّ عنه شيئاً من عذاب الله إذ نزل به.

﴿٣ - ٥﴾ «سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ»؛ أي: ستُحيط به النار من كُلِّ جانبٍ، هو «وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةُ الْحَطَبِ»: وكانت أيضاً شديدة الأذية لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقى الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرَّسُولِ ﷺ، وتجمع على ظهرها الأوزار^(٤)؛ بمنزلة من يجمع حطباً، قد أعدَّ له

(١) كما في « صحيح البخاري» (٤٩٦٧ و ٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) في (ب): «النبي ﷺ».

(٣) في (ب): «أطغاه».

(٤) في (ب): «من الأوزار».

في عنقه حبلاً **﴿من مسِّه﴾**؛ أي: من ليف، أو أنها تحمل في النار الحطب على زوجها متقلدةً في عنقها حبلاً من مسِّه.

وعلى كلٍّ؛ ففي هذه السورة آيةٌ باهرةٌ من آيات الله؛ فإنَّ الله أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ وَأَبْوَاهُ لَهُبَّ وَأَمْرَأَتَهُ لَمْ يَهْلِكَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمَا سَيَعْذَبَانَ فِي النَّارِ وَلَا بَدْ، وَمَنْ لَازَمَ ذَلِكَ أَنَّهُمَا لَا يَسْلِمَانَ، فَوْقَ كُمَا أَخْبَرَ عَالَمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

* * *

تفسير سورة الإخلاص

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۖ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۖ ۝ لَمْ يَكُنْ لَّهٗ كُفُواً أَحَدٌ ۖ ۝﴾

﴿١﴾ أي: **﴿قُلْ﴾**: قولًا جازماً به، معتقداً له، عارفاً بمعناه: **﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**؛ أي: قد انحصرت فيه الأحادية؛ فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

﴿٢﴾ **﴿الله الصمد﴾**؛ أي: المقصود في جميع الحوائج؛ فأهل العالم العلوى والسفلى مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم؛ لأنَّه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي [قد] كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته، الذي وسعت رحمته كلَّ شيء... وهكذا سائر أوصافه.

﴿٣﴾ ومن كماله أنه **﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ﴾**؛ لكمال غناه.

﴿٤﴾ **﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾**: لا في أسمائه، ولا في صفاتاته^(١)، ولا في أفعاله؛ تبارك وتعالى.

فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات.

* * *

(١) في (ب): «أوصافه».

تفسير سورة الفلق

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ
شَرِّ النَّعْدَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٤﴾.

﴿١﴾ أي: ﴿قل﴾: متعمداً: ﴿أعوذ﴾؛ أي: ألجأ وألوذ وأعتصم، ﴿برب
الفلق﴾؛ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الأصباح.

﴿٢﴾ ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: وهذا يشمل جميع ما خلق الله من إنسٍ وجنٍ
وحيوانات؛ فيستعاذه بخالقها من الشّر الذي فيها.

﴿٣﴾ ثم خصّ بعدما عمّ، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ أي: من شرّ ما
يكون في الليل حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثيرٌ من الأرواح الشريرة والحيوانات
المؤذية.

﴿٤﴾ ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعَقْدِ﴾؛ أي: ومن شر السواحر اللاتي يستعينن
على سحرهن بالثقوب في العقد التي يعقدها على السحر.

﴿٥﴾ ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: والحسدُ هو الذي يحب زوال النعمه عن
المحسود؛ فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتياج إلى الاستعاذه
بالله من شره وإبطال كيده. ويدخل في الحسد العين؛ لأنّه لا تصدر العين إلا من
حسدٍ شريرٍ الطبع خبيث النفس.

فهذه السورة تضمنت الاستعاذه من جميع أنواع الشرور عموماً وخصوصاً، ودللت
على أنّ السحر له حقيقة؛ يخشى من ضرره، ويستعاذه بالله منه ومن أهله.



تفسير سورة الناس

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَالِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسَوَاسِ
الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِشُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.**

١٦ - وهذه السورة مشتملة على الاستعاذه برب الناس ومالکهم والهم من الشيطان، الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره أنه يوسم في صدور الناس؛ فيحسن لهم الشر، ويرههم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويبطّهم عن الخير^(١)، ويرههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائمًا بهذه الحال، يوسم ثم يخنس؛ أي: يتأخّر عن الوسوسة إذا ذكر العبد ربّه واستعان [به] على دفعه؛ فينبغي له أن يستعين ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلّهم، وأنّ الخلق كلّهم داخلون تحت الرّبوبية والملك، فكلّ دابة هو آخر بناصيتها، وبألوهيتها التي خلقهم لأجلها؛ فلا تتم لهم إلّا بدفع شرّ عدوّهم الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه؛ ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجنّ يكون من الإنس، ولهذا قال: «من الجنّة والناس»^(٢).

والحمد لله رب العالمين أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً، ونسأله تعالى أن يتم نعمته، وأن يغفو عنا ذنوبنا التي حالت بيننا وبين كثير من بركاته، وخطايا وشهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر آياته، ونرجوه ونأمل منه أن لا يحرمنا خير ما عنده بشّر ما عندنا؛ فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا الضالّون^(٢)، وصلى الله وسلم على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، صلاة وسلاماً دائمين متواصلين أبداً الأوقات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تم تفسير كتاب الله بعونه وحسن توفيقه على يد جامعه وكاتبته عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله المعروف بابن سعدي. [غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين].

(٢) في (ب): «ويقبح لهم الخير».

(١) في (ب): «القوم الضالّون».

وقع النقل في ٧ شعبان سنة (١٣٤٥)^{(١)(٢)}
ربنا تقبل منا واعف عنا إنك أنت الغفور الرحيم.



(١) في هامش (أ) : بلغ مقابلة.

(٢) في (ب) : «وذلك في غرة ربيع الأول من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف من هجرة
محمد ﷺ».